جماليات التعبير القرآني عن الأمن دراسة تحليلية

✍ الدكتور

محمود عبد الرحيم محمد حسين

مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بأسيوط ـ جامعة الأزهر

العدد الثاني والعشرون

للعام ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الجزء الثالث

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٨م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

ملخص البحث

يدور هذا البحث حول معنى (الأمن) ومفاهيمه المتعددة حسبما ورد في التعبير القرآني من ناحية التشكيل والأداء التعبيري لدالة الأمن ومشتقاتها عن طريق استقراء الشواهد والتحليل النصي للآيات الكريمة محل البحث، وصولا الى مجموعة من الخصائص والسمات المتفردة التي حظي بها هذا التعبير خاصة، للوقوف على أسباب هذا التفرد الجمالي والتكامل التعبيري عن هذا المعنى في القرآن الكريم ، و يضم البحث في طياته تمهيدا ومبحثين

التمهيد وتناول الحديث عن مفهوم الأمن لغة واصطلاحا ثم مصطلح الأمن ومشتقاته وصيغه المتعددة في السياق القرآني ؛ وصولا إلى معاني هذه المشتقات والألفاظ ، والتي ترتد في مجملها إلى معاني السلامة والاطمئنان النفسي، وانتفاء الخوف على حياة الإنسان – دنيويا وأخرويا .

أما المبحث الأول: الأمن في القرآن الكريم: إطلاقات ومعاني. حيث رصد البحث عدة معان فرعية منبثقة عن المعاني الأصلية – سالفة الذكر –اقتضتها مناسبة كل آية .

أما المبحث الثاني:فقد تناول جماليات التعبير في حديث القرآن عن الأمن والأمان .

من حيث تقديم دالة الأمن أو تأخيرها ، ومدى ملائمتها لما يجاورها بالنظر إلى هذه الوضعية ، كذلك الصيغ الإنشائية التي وردت عليها ألفاظ الأمن وامتناعها عن صيغ أخرى والسبب في ذلك ، ثم التأكيد على فكرة إن إيقاع الوصف بالأمن في القرآن الكريم جاء جزئيا مقيدا في بعض الآيات الكريمة، وكليا مطلقا في بعضها الآخر، اقترانا سياقيا بحالة الوصف والموصوف، وبحالة الفعل والزمن كذلك ، ثم رصد البحث ما قدّمه القران الكريم في حديثه عن معنى الأمن من الصفات المتتابعة ، والمصاحبات اللغوية للصفة تأكيدا لها ونفيا لمضادها ، ثم التنوع التعبيري في طرق إثبات صفة الأمن ومنحها منه – ﷻ – مع اختلاف المواقف وتعدد المناسبات والسياقات .

كذلك أثبت البحث استخدام النظم الكريم في حديثه عن ثنائية (الأمن والخوف) ما يعرف بالمقابلة اللفظية استخداماً نفسياً في مجالي الترغيب والترهيب ، تأكيدا على التحول الشعوري والمعنوي بين طرفي هذه الثنائية أو زوال أحد طرفيها وبقاء الآخر ، وغير ذلك من الإحالات والنتائج المهمة في هذا الباب .

الباحث د / محمود عبدالرحيم محمد حسين

Abstract

This research revolves around the meaning of (security) and its multiple concepts as expressed in the Quranic expression in terms of the composition and expressive performance of the function of security and its derivatives by extrapolating the evidence and the textual analysis of the verses in question to a set of unique characteristics The reasons for this aesthetic uniqueness and the expressive integration of this meaning in the Holy Quran, and the research includes a prelude and two topics

Preface and talk about the concept of security language and terminology and then the term security and its derivatives and multiple versions in the context of the Koran; to the meanings of these derivatives and words, which bounce in its entirety to the meanings of safety and psychological assurance, and the absence of fear on human life–

The first topic: Security in the Holy Quran: releases and meanings. Where the research monitored several sub-meanings derived from the original meanings - the above - necessary for each verse.

The second topic: it addressed the aesthetics of expression in the talk of the Koran on security and safety.

In terms of presenting the security function or delaying it, and its appropriateness of its surroundings in view of this situation, as well as the structural formulas on which the words of security were received and refraining from other formulas and the reason, and then emphasizing the idea that the rhythm of description of security in the Holy Quran was partially restricted in some verses And then the research monitored the presentation of the Quran in his talk about the meaning of security of the successive qualities, and the linguistic associations of the character of the confirmation and negation of the counter, and then the diversity of expression in the methods of proving the recipe Security - ﷻ - with different positions and multiple events and contexts.

The research also proved the use of the systems in the speech of the two (security and fear) what is known as verbal interview psychologically used in the areas of stimulation and intimidation, emphasizing the psychological and moral transformation between the two extremes of this bilateral or the disappearance of one end and the survival of the other, and other important references and results in this section.

Dr. Mahmoud Abdel Rahim Mohamed Hussein

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على الهادي إلى صراط مستقيم، وعلى آله وصحبه والتابعين. **وبعد**

فالقرآن الكريم بيان معجز رحب ونبع ثر تتفجر دلالاته الموحية إلى ما لا نهاية، ولقد حظيت قضايا التعبير القرآني الأدبية بالعناية التي لم يحظ بها نص آخر، لاسيما الوقوف عند بعض الموضوعات ودراسة دوالها وألفاظها دراسة أدبية منفردة، فنصوص القرآن الكريم تهب القارئ أفقا رحيبا من التشكيلات التعبيرية التي تجمع الديني الى الأدبي، يتفاعل فيها المعطي الإيماني مع الصياغة الفنية، فيشكلان معا نسيجا عجيبا في صورة أدبية سامقة للمعنى أو المفهوم المراد، تتجاوز الأحكام المسبقة وآليات الفن المتداولة إلى ما وراءها .

وعلى وفق ذلك كان مدار هذا البحث حول تتبع رؤي النص القرآني متمثلا بمعنى من المعاني المهمة وهو معنى (الأمن) ومفاهيمه المتعددة حسبما ورد في التعبير القرآني – تشكيلا وتوظيفا وأداء وآليات تصوير، تتبعا يعتمد استقراء الشواهد والتحليل النصي للآيات الكريمة محل البحث، وصولا الى مجموعة من الخصائص والسمات المتفردة التي حظي بها هذا التعبير خاصة، وجماليات رسمه كذلك .

فمهمة هذه الدراسة هي محاولة سبر أغوار هذا التفرد الجمالي وذلك التكامل التعبيري عن معنى (الأمن) في القرآن الكريم، تلك التي تحكمها رواية معجزة البيان والتصوير، وهو ما يقودنا إلى نمط خاص من التحليل الأدبي الذي يتتبع نوع وشكل ووظيفة التعبير والأداء؛ مما يشير إلى أن البحث سيعالج موضوع الاختيار من الداخل النصي من جهة وموضوع الاختيار في الخارج من حيث السياق والمناسبة من جهة اخرى، وذلك وفق المنهج الوصفي التحليلي

الذي يقف أمام مكنونات النص القرآني في هذا الشأن، معتمداً على المصنفات التفسيرية وكتب البلاغة واللغة .

وعليه فالبحث يضم في طياته مبحثين يسبقهما تمهيد.

التمهيد ويشمل:

أولا: الحديث عن مفهوم الأمن لغة واصطلاحا .

ثانيا: مصطلح الأمن ومشتقاته في السياق القرآني .

المبحث الاول: **الأمن في القرآن الكريم: إطلاقات ومعاني.**

وذلك من خلال ما تحمله دوال الأمن في القرآن الكريم من معانٍ مختلفة يظهر معناها حسب السياق .

المبحث الثاني: **تناول جماليات التعبير في حديث القرآن عن الأمن والأمان.**

وذلك عن طريق تلقي مكون التعبير البياني القرآني عن معاني (الأمن) بدوالها الصريحة، بحسبانها ولا شكَّ تتميز عن غيرها من ألفاظ الخطاب غير القرآني بميزات وخصائص، جعلتها توصف بالجمال والجلال والبلاغة والإبلاغ والدقة اللامُتناهية في الدِّلالة على المعنى .

والله أسأل أن يكون عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم الموقف العظيم .

والله الموفق وهو الهادي إلى الصراط المستقيم

الباحث

تمهيد

أولا: مفهوم الأمن لغة واصطلاحا:

الأمن في اللغة:

مدار مادة " أمن " في اللسان العربي على سكينة يطمئن إليها القلب بعد اضطراب، كما تعني الاستقرار والسلامة والبعد عن المخاطر، والأصل أن يستعمل في سكون القلب [١].

فالأمن: (بتسكين الميم) مصدر أَمِنَ يأمن فهو آمن، والأمان ضد الخوف، الذي يعني الفزع وفقدان الاطمئنان [٢]. وقيل: " الأمْن والآمِن: كصاحب، ضد الخوف، أمِن كفرح أمناً وأماناً بفتحهما، وأمناً وأمَنَةً محركتين، وإمِناً بالكسر، فهو أمِن وأمين كفرح وأمير، ورجل أمَنَةٌ كهمزة ويحرك يأمنه كل أحد في كل شيء" [٣] وقيل: " الأمان والأمانة بمعنىً وقد أمنْتُ فأنا آمن، وآمنت غيري من الأمن والأمان... " [٤].

الأمن اصطلاحاً:

لا يخرج تعريف الأمن الاصطلاحي كثيراْ عن معناه اللغوي حسب فهم السلف لذلك حيث تعددت عباراتهم اللغوية له، فيرجع مفهومه عندهم إلى حالة السلم العام وعدم الخيانة، والتصديق، والحفظ، الطمأنينة، الدين، الثقة، القوة،

---

(١) لسان العرب لابن منظور: ٢١/١٣، دار صادر بيروت ١٩٩٦م، المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص ٩٠.

(٢) القاموس المحيط: الفيروز أبادي: ١٩٧/٤، مادة (أمن)، ت: محمد نعيم العرقسوس: الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثامنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

(٣) السابق: ١٩٧/٤، مادة (أمن).

(٤) مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر: ٢٠٧١/٥، مادة (أمن) مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ط: جديدة.

الإجارة وطلب الحماية .

فقد عرف الجرجاني الأمن بأنه: "عدم توقع مكروه في الزمان الآتي" [١]، وتابعه بتعريفه هذا القونوي[٢] والمناوي[٣]، وقد حدد الماوردي قواعد صلاح الدنيا وانتظام عمرانها، وهي عنده ستة أشياء (دين متبع، وسلطان قاهر – دولة قوية – وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دائم، وأمل فسيح) فإنه قد جعل " الأمن العام " القاعدة الرابعة من قواعد صلاح الدنيا وانتظام العمران، وعن هذه القاعدة يقول: (وأما القاعدة الرابعة فهي أمن عام تطمئن إليه النفوس، وتنتشر به الهمم، ويسكن فيه البريء، ويأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة، وقد قال بعض الحكماء: الأمن أهنأ عيش، والعدل أقوى جيش، لأن الخوف يقبض الناس عن مصالحهم، ويحجزهم عن تصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قِوام أوَدِهم، وانتظام جملتهم ... والأمن المطلق: ما عَمَّ والخوف قد يتنوع تارة ويعم، فتنوعه بأن يكون تارة على النفس، وتارة على الأهل، وتارة على المال، وعمومه أن يستوجب جميع الأحوال)[٤]، ويعقب على ذلك محمد عمارة قائلاً: فهو أمنٌ عامٌ مطلق اجتماعي يحقق طمأنينة النفوس .. وتنتشر به الهمم وتنمو به الملكات والطاقات.. لأن الخوف – وهو نقيض الأمن – كما يقول الماوردي: (يقبض الناس عن مصالحهم، ويحجزهم عن تصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد

---

(١) التعريفات: الجرجاني الشريف علي بن محمد (ت ٨١٦هـ): ص٣٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

(٢) أنيس الفقهاء: القونوي، قاسم بن عبد الله بن أمير علي (ت ٩٧٨هـ): ١/١، تحقيق: د/ أحمد عبد الرزاق الكبيسي، دار الوفاء، جدة، ط: الأولى ١٤٠٦هـ.

(٣) التَّعاريف: المِناوي، محمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ)، ص٩٤، تحقيق: د/ محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط: الأولى ١٤١٠هـ.

(٤) أدب الدنيا والدين: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ)، ص١١٩، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط: الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

التي بها قوام أودهم، وانتظام جملتهم ..)[١].

أما الباحثون المعاصرون فقد فصَّلوا معنى الأمن، وتعدَّدت تعريفاتهم الاصطلاحية للأمن باختلاف المنظور الذي ينظرون إليه عند تعريفهم له .

فمنهم من نظر إليه مجتمعيا فذكر أنه " شعور المجتمع وأفراده بالطُّمأنينة، والعيش بحياة طيبة، من خلال إجراءات كافية يمكن أن تزال عنهم الأخطار، أيًّا كان شكلها وحجمها، حال ظهورها، ومن خلال اتِّخاذ تدابير واقية [٢].

وعرفه محمد عمارة بما هو قريب من هذا، وإن كان قد توسع قليلا فقال: " هو الطمأنينة المقابلة للخوف والفزع والروع في عالم الفرد والجماعة، وفي الحواضر ومواطن العمران، وفي السبل والطرق، وفي العلاقات والمعاملات، وفي الدنيا والآخرة جميعاً "[٣].

ومنهم من نظر إلى البعد السياسي للمصطلح فعرفه الهيتي بأنه: " مجمل الإجراءات الأمنية التي تتخذ لحفظ أسرار الدولة، وتأمين أفرادها، ومنشآتها، ومصالحها الحيوية، ويعني الطمأنينة والهدوء، والقدرة على مواجهة الأحداث والطوارئ دون اضطراب " [٤].

ومنهم من نظر إلى مقاصد الشرع كما عرفه الهويمل بأنه: " الاستعداد والأمان بحفظ الضرورات الخمس من أي عدوان عليها، فكل ما دل على معنى

---

(١) الإسلام والأمن الاجتماعي: محمد عمارة، ص١٥، دار الشروق، القاهرة، ط: الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

(٢) أثر تعليم القرآن الكريم في حفظ الأمن: د/ عبدالقادر ياسين الخطيب، ص٦. جامعة الأمير سلطان – قسم العلوم العامة – العام الدراسي ١٤٢٦/١٤٢٧هـ.

(٣) الإسلام والأمن الاجتماعي: د/ محمد عمارة، ص١١، دار الشروق ٢٠٠٧م.

(٤) الأمن الاجتماعي ضبط المصطلح وتأصيله الشرعي: د/ عماد "محمد رضا" علي التميمي و د/ إيمان "محمد رضا" علي التميمي، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الذي تقيمه كلية الشريعة في جامعة آل البيت بعنوان الأمن الاجتماعي في التصور الإسلامي ٢٠١٢م.

الراحة والسكينة، وتوفير السعادة والرقي في أي شأن من شؤون الحياة فهو أمن "[١].

أو كما عرفه الخادمي بأنه: " هو اطمئنان الإنسان على دينه ونفسه وعقله وأهله وسائر حقوقه، وعدم خوفه في الوقت الحالي أو في الزمن الآتي، في داخل بلاده ومن خارجها، ومن العدو وغيره، ويكون ذلك على وفق توجيه الإسلام وهدي الوحي، ومراعاة الأخلاق والأعراف والمواثيق"[٢] .

ومن خلال العرض السابق لتعريفات العلماء والباحثين لمصطلح الأمن فإننا نلحظ التقارب الكبير بين المعنى اللغوي والاصطلاحي؛ فالعلماء متفقون على المحاور الأساسية في تحديد دلالة المصطلح وإن اختلفت ألفاظهم، فالتعريف بهذه التقييدات قد أبان أن الأمن لا يتحقق ما لم يكن هناك حفظ للضروريات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية بحفظها.

---

(١) مقومات الأمن في القرآن الكريم: إبراهيم الهويمل، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ١٥، العدد ٢٩، ص ٩.

(٢) القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل: نور الدين الخادمي ، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ٢١، العدد ٤٢، ص١٦.

ثانيا :دالة الأمن ومشتقاتها في النظم القرآني

ورد مصطلح الأمن ومشتقاته في السياق القرآني على عشرين صيغة وهي: (أمن – أمنتكم – أمنتم – أمنوا – آمنكم – تأمنَّا – تأمنه – يأمن – يأمنوا – يأمنوكم – آمنًا – آمنة – آمنون – آمنين – الأمن – أمنًا – أمنة – مأمنه – مأمون – آمنهم).

" وذلك في أربع وعشرين سورة، وقد وردت هذه الصيغ في ثمانٍ وأربعين موضعًا من كتاب الله، موزعة على ثلاث وأربعين آية، تسع وعشرين آية منها مكية، في واحد وثلاثين موضعًا في سبع عشرة سورة، وأربعة عشرة آية منها مدنية، في سبعة عشر موضعًا،، موزعة في سبع سور[١] وباشتقاقات متعددة:

كالمصدر كما في قوله تعالى: { وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا } [البقرة: ١٢٥].

أو صيغة اسم الفاعل، كقوله سبحانه: { رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا } [البقرة: ١٢٦].

أو اسم كقوله تعالى: { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ } [النساء: ٨٣].

أو فعل كقوله سبحانه: { فَإِذَا أَمِنْتُمْ } [البقرة: ١٩٦].

هذا التباين في عدد مواضع ذكر هذه اللفظة بين الآيات المكية والمدنية يؤكد مدى حاجة العهد المكي إلى مزيد من الأمن المفقود يومئذ للمؤمنين، وأما في العهد المدني فقد كان المسلمون أكثر أمانًا؛ إذ قامت لهم دولة على أرض المدينة، وأصبح الحديث عن الأمن حسب الحاجة والضرورة.

---

(١) ينظر: التربية الأمنية في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية): د/عبد السلام حمدان اللوح، د/ محمود هاشم عنبر، ص ٥، ٧، نشر في مجلة الجامعة الاسلامية (سلسلة الدراسات الاسلامية) مج ١٤ العدد ١ يناير ٢٠٠٦م .

المبحث الاول

الأمن في القرآن الكريم: إطلاقات ومعاني

(أ) **دالة الأمن ومحيطها اللغوي والدلالي:**

يلاحظ أن ثمة ارتباط وثيق بين لفظ (الأمن) من جهة وبين لفظي (الإيمان) و(الأمانة) من جهة أخرى. هذا الترابط ينسحب على الإطار والمحتوى (اللغوي والدلالي) على السواء. فالعلاقة بين (الأمن) و(الإيمان) و(الامانة) تتضح من نفس مبنى الكلمة في اللغة العربية، فإن كلمتي (الإيمان) و(الامانة) تتركب حروفهما الأصلية من نفس الكلمة التي تتركب منها حروف كلمة (الأمن) وهي (الهمزة والميم والنون (أَمِنَ) فهذه المادة – مادة (أمن) – يشتق منها الإيمان، وتدل عليه كما تدل على الأمن، وتدل على مادة أخرى وهي (الأمانة).

يقول ابن فارس: " لـ (أَمَنَ) أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق "[(١)].

فهي متقاربة في الاشتقاق اللفظي، متقاربة في المعنى وفي الدلالة؛ فهي كلماتٌ ثلاث ترجع في اشتقاقها اللُّغوي إلى أصل واحد وارتباطها اللُّغوي جعل بينها ارتباطاً واقعياً في المادة والمعنى[(٢)].

وبيان ذلك: أن منطلق الأمن العام هو الأمن النفسي المرتبط بالإيمان، وكثيرا ما تناول البيان القرآني هذا الجانب؛ لارتباط الكفر والإيمان بالأمن النفسي، وأثره على سلوك الفرد، ذلك لأن الإيمان منطلق سلوك الإنسان العقلي والعملي، ولذلك نجد الأحكام التكليفية في القرآن يتقدمها النداء بوصف المؤمنين { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا }، مما يحقق الأمن النفسي الذي هو أساس الأمن العام وما يتفرع عنه،

---

(١) مقاييس اللغة: ١/١٣٣، ت: عبدالسلام هارون، دار الفكر، دمشق ١٩٧٩م .

(٢) نظرات في كتاب الله: هِشام عبد الرَّزاق الحمص، ص ٤٥، دار الكلم الطيب، دمشق، ط: الخامسة ٢٠٠٣هـ.

والوصف بذلك جار مجرى اللقب لهم، مع ما يؤذن به أصله من أهليتهم لتلقي هذا الأمر بالامتثال " [١] .

فقد شرط الله تعالى تحقق الأمن العام بتحقيق الإيمان، وتنفيذ شرع الله تعالى في المجتمع وشكره سبحانه على ما أنعم، ومن المعروف أن عقيدة التوحيد تأخذ مساحة واسعة من الآيات القرآنية؛ وفي هذا رَبْطٌ واضح وعلامة قوية بين رسوخ عقيدة التوحيد في النفس البشرية وبين الأمن والاطمئنان .

فالإيمان هو: التصديق الذي معه أمن، بمعنى أن الأمن النفسي يورثه الإيمان؛ حتى قال بعض أهل العلم باللغة: " إن اشتقاق الإيمان من الأمن، فمادتهما الأصلية واحدة، أصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف... و"آمن" إنما يقال على وجهين: أحدهما متعدّيا بنفسه، يقال: آمنته أي جعلت له الأمن، ومنه قيل لله مؤمن؛ والثاني: غير متعدّ، ومعناه صار ذا أمن... " [٢].

وكأن الإمام الراغب –/– لا يتصور أن يكون هناك مؤمن وليس في قلبه أمن أي سكينة واطمئنان، أي استقرار لا اهتزاز ولا اضطراب ولا قلق ولا حيرة، لأنه مطمئن إلى ربه { أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } [الرعد: ٢٨]. { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ } [الفتح: ٤].

فالمدار إذن على وجود سكينة في القلب في جميع ما دارت فيه المادة، سواء في صورة "أمن" أو "آمن" المتعدي واللازم، المدارُ على هذه السكينة وعلى هذه الطمأنينة التي تأتي في حقيقتها بعد نوع من القلق والاضطراب، وتأتي بعد قدر من الخوف. [٣] إذن فالأمن مرتبط ارتباطا وثيقا بالإيمان؛ لأن حقيقة الأمن

---

(١) التحرير والتنوير: ٢١٥/٢٦، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤هـ .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الراغب الاصفهاني، ص ٢٢، ت: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي ١٩٧٢م .

(٣) مفهوم الأمن في القرآن الكريم: أ.د/ الشاهد البوشيخي، مجلة حراء، العدد: ١٣ (أكتوبر – ديسمبر) ٢٠٠٨م .

بأنواعه ترجع إلى تحقيق الإيمان ومقتضاه في الشريعة .

بل حدّد القرآن معنى "المؤمن" بصفات دالة في سورة "المؤمنون" فيقول من جملة أوصافهم: { وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } [المؤمنون: ٨]، والآية بنفس التعبير نجدها في سورة (المعارج، الآية ٣٢) .

والأمانة هنا بالمعنى العام، سواء كانت مادية أم معنوية، ونجد الأمانة بصيغة الجمع أيضاً في آية أخرى، نهيا للمؤمنين عن الخيانة للعهد والامانة: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [الأنفال: ٢٧].

وهكذا يمكن القول: أنّ (أ. م. ن) ومشتقاتها من (الأمانة إلى الأمنة والأمين والأمن) كلّها تعطي معنى التحرر من الخوف والغش والخديعة، كما تعني الاطمئنان وراحة الضمير، فإذا انتقلت إلى الإيمان بالله وبالرسول وبما أنزل عليه بما يصاحب الإيمان من العمل الصالح، فإنّها تحمل معها كلّ هذه الدلالات والشحنات المعنوية.

(ب) معاني الأمن في القرآن الكريم :

وردت كلمة الأمن وما يشتق منها في القرآن الكريم في مواضع عديدة، حاملة معها معاني متعددة وإطلاقات متنوعة، تعود في أصلها إلى معنى السلامة والاطمئنان النفسي، وانتفاء الخوف على حياة الإنسان، أو على ما تقوم به حياته من مصالح وأهداف وأسباب ووسائل، أي ما يشمل أمن الإنسان الفرد، وأمن المجتمع .

هذه المعاني والإطلاقات يمكن إجمالها في معان ثلاثة أصلية تتشعب توجيهاتها وإشراقاتها الفرعية حسب ما يقتضيه كل سياق وكل مناسبة، وهي:

١. **الأمن بمعنى الأمانة:**

ويتجلى ذلك بصورة أكثر وضوحا في حديث القرآن الكريم عن جانب المعاملات بين الأفراد؛ تأسيسا على فكرة أن الأمانة تورث الأمن الحقيقي: فالمؤمن الذي يؤدي الحقوق والأمانات إلى أهلها في أزمانها وأماكنها، يعيش أمناً حقيقياً، أما الخائن الذي يعتدي على الحقوق ويخون الأمانات يعيش خوفاً حقيقياً، يخاف وقوعه بيد العدالة حيناً، ويخاف وقوعه بيد من اعتدى عليهم حيناً آخر، ويخاف وقوعه بيد الله حيناً ثالثاً.

يقول المولى سبحانه: { وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } **[البقرة: ٢٨٣].**

فقد بينت الآية الكريمة أن من محاور الأمن ومجالاته ذلك الذي ينتج عن حسن التعامل بين أفراد المجتمع المسلم من خلال الالتزام بتوجيهات الإسلام واتباع أوامره، وبما ينعكس إيجاباً على كافة مناحي الحياة في المجتمع. وقد أطلقت الأمانة على الشيء المؤمن عليه، من إطلاق المصدر على المفعول [١]، والمعنى: أي إن لم يخف أحدكم خيانة الآخر وجحوده[٢] فليعطِ المؤتمن ما اؤتمن عليه من أمانة .

ونحوه قوله سبحانه: { وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ } **[آل عمران: ٧٥]، ومعنى الآية: أن أهل الكتاب فيهم الأمين الذي يؤدي أمانته – وإن كانت كثيرة –، وفيهم الخائن الذي لا يؤدي أمانته وإن كانت حقيرة، ومن**

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢٢/٣.

(٢) السابق نفسه.

كان أمينا في الكثير فهو في القليل أمين بالأولى، ومن كان خائنا في القليل فهو في الكثير خائن بالأولى [١] .

إن الترابط التدوالي بين لفظة (أمن) و (اؤتمن) في القرآن الكريم يتأكد – فضلا عما قررناه في سياق سابق من وجود علاقة مباشرة بينهما لغويا – من التبادل في الاستعمال القرآني؛ حتى جاء ذكر الأمن بمعنى صفة الأمين[٢] انتقالا من انتفاء الخوف في المكان والنفس إلى المعنى المعنوي، أي الشخصية المأمونة التي لا يخشى ضررا ينبعث منها أو من سلوكها وتصرفاتها.

والتعبير القرآني يزخر بمثل هذه الإطلاقات لبعث الأمن والطمأنينة ابتداء في النفوس المخاطبة – على اختلافها – فيما حكى القرآن، من مثل:

{ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ } [الأعراف: ٦٧ – ٦٨].

{ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ } [يوسف: ٥٤].

{ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } [الشعراء/ ١٠٥ – ١٠٧].

{ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } [الشعراء: ١٢٣– ١٢٥].

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } [الشعراء: ١٤١ – ١٤٣].

{ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } [الشعراء: ١٦٠ – ١٦٢].

---

(١) تفسير فتح القدير للشوكاني: ٢٢٦/١، مراجعة: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٤م.

(٢) ينظر: تفسير الرازي، ص ١٠٦، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م .

{ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } **[الشعراء: ١٧٦ – ١٧٨].**

{ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ } **[النمل: ٣٩].**

{ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ } **[التكوير: ١٩ – ٢١].**

{ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ } **[القصص: ٢٦].**

{ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } **[الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥].**

فـ (الأمين) في الآيات الكريمات لفظة مشحونة بكثير من الدلالات، إذا كان أبسطها هو الصدق في القول وعدم الخديعة .

فإنّها حينما تقترن بالنصح في آيات (الأعراف) تحمل معنى يعطي للنصح دلالةً خاصة.

وحينما تقترن بالمكانة في آية (يوسف) تعطيه معنى آخر، يزيد عن الأمانة المادية.

وهي في آيات (الشعراء) تقترن بالرسالة، فتعني أكثر من الصدق وتوحي بالاطمئنان وانعدام الخوف.

وهي في آية (النمل) تحمل معنى الأمانة والاطمئنان إلى ذمة ووعد هذا العفريت من الجن الذي يأتي بالعرش مقتدرا على الاتيان به، وأميناً محافظاً عليه في نفس الوقت.

٢. **بمعنى الأمن المقابل للخوف:**

ويعنى أن تحقيق الاستقرار والسكينة الشاملة والحماية والبعد عن المكاره هو المعني الحقيقي للأمن، وهو المعنى العام الذي ينصرف الذهن إليه عند الحديث عن الأمن. متحققا – أساسا – في النفس الإنسانية، ثم الظروف والاحوال والأماكن التي تحيا فيها بالتبعية .

والقرآن يعبِّر عن هذا الأمن الحقيقي في النفس الإنسانية، بحسبانه صادرا عنها قارّا فيها.

فيأتي وصفا شاملا مقصورا على فئة معينة اتصفت بصفات مخصوصة، خلص لها السبب فتحقق لها المطلوب، ومنه قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ }**[الأنعام: ٨٢]، والمعنى: الذين صدقوا الله وأخلصوا له العبادة، ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له أحق بالأمن من عقابه** (١).

وقد يأتي في سياق التفضل منه – سبحانه – في ظرف خاص ولغاية محددة، كما في قوله سبحانه: {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا } **[آل عمران: ١٥٤]، أي: أنزل على المؤمنين أماناً بعد الخوف الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عَددهم وعُددهم. وإنما ينعس من يأمن، والخائف لا ينام** (٢)

وقد يأتي الأمن في سياق التبديل والتحويل من حالة إلى أخرى، كثمرة لتطبيق منهج الإسلام في الحياة كما في قوله تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } **[النور: ٥٥].**

---

(١) **ينظر: تفسير الطبري: ٤٩٣/١١، ت: محمود محمد شاكر، سلسلة تراث الاسلام، رقم ١٦، دار المعارف .**

(٢) **ينظر: تفسير القرطبي: ٢٤٢/٢، ت: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م .**

بمعنى: وليغيرن حالهم عما هي عليه من الخوف إلى الأمن [١].

كما يأتي في سياق التحذير من إذاعة الأخبار والإشاعات الغير صحيحة، كما في قوله تعالى: { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأمن أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء: ٨٣] أي سواء في حالة (الأمن) وهو: الفتح والغنيمة (أو الخوف) القتل والهزيمة أشاعوه وأفشوه [٢]

أو كالتعليل لفعل معين، مقصودا به حالة من المعنى أخف من الحالة الأساسية واقصر وقتا منها، فهي تأتي في ظرف خوف لتحقيق أمر معين كما في قوله تعالى: { إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ } [آل عمران: ١٥٤] " [٣].

يذكرهم الله بما أنعم به عليهم يوم أُحد من إلقائه النعاس عليهم، أمانا من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم [٤] .

أو يأتي تعبيرا عن الأمن الداخلي الذي يحصل من طبيعة الظرف الداعم لمثل هذا الشعور حسب ظن من توجه إليهم الخطاب، كتوافر أسبابه الظاهرة، كالجنات والعيون الزروع والنخل .. الخ، كما في قوله: { أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَا هُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ } [الشعراء: ١٤٦ – ١٤٩].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٠٨/١٩ .

(٢) ينظر: تفسير البغوي: ٢٥٥/٢، بتحقيق: محمد عبد الله العمر وآخرون، دار طيبة 1409هـ ١٩٨٩م .

(٣) ينظر: سر الإعجاز في تنوع الصيغ الصرفية المشتقة من أصل لغوي واحد في القران، عودة منيع القيسي، ص ١٩٩، دار البشير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى ١٩٩٦م .

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير: ٢٣/٤، ت: سامي محمد السلامة، دار طيبة ٢٠٠٢م .

أو يأتي من الارتياح النفسي الذي يبعثه الله في قلوب المصطفين من عباده، كوضعية موسى – عليه السلام – في آية القصص: { يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ } [القصص: ٣١].

أو يجئ من انعدام ما يبعث على الخوف، كحالة الذين يقبلون في الآخرة، وهم يحملون حسناتهم؛ فيأمنون من الفزع، كما في قوله تعالى: { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ } [النمل: ٨٩].

٣. **بمعنى المكان الأمن:**

حيث تأتي دالة الأمن بمعنى المكان المأمون على صيغة اسم المكان، فـ(المأمن) هو المكان الذي يأمن فيه الإنسان، على نحو ما يفهم من قوله – ﷻ –: { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ } [التوبة: ٦]، أي: أبلغه موضع أمنه: وهو دار قومه، أو منزله الذي فيه أمنه (١) .

أو تأتي دالة الأمن وصفا صريحا لمكان معين على التعيين، ومنه كلّ الآيات التي تصف البيت الحرام ومكة المكرمة بلفظة الأمن، على معنى انتفاء الخوف عن الداخل فيهما والمقيم بهما، فيأتي اختصاص الصفة حينئذ لخصوصية ذلك المكان الموصوف؛ بحسبان أن للمكان طبيعته الخاصة، وسره الخاص، وذلك سر جعله الله في ذلك المكان تفضلا منه – ﷻ –، كما في قوله سبحانه: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ } [إبراهيم: ٣٥].

{ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا } [القصص: ٥٧].

{ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ } [العنكبوت: ٦٧].

---

(١) مفردات الفاظ القران الكريم: الراغب الاصفهاني، ص ٩١، مادة (أمن)، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم – الدار الشامية، ط: الرابعة ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م .

فقد جعل الله – ﷻ – " الأمن " من خصائص بيته المحرم الذي له من المنزلة والفضل والمكانة ما ليس لغيره،

أو تأتي دالة الأمن صفة لمكان غير مخصوص في سياق المثل، كثمرة من ثمرات الإيمان: كما في قوله تعالى: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } [النحل: ١١٢] .

المبحث الثاني

من جماليات التعبير في حديث القرآن عن الأمن والأمان

إذا ما رُمنا الإبحار في الكتاب العزيز بغية الوقوف على أسرار وجماليات التعبير عن معنى الأمن المنوط به هذا البحث ومن تتبعنا لآيات الأمن نجد أنّ القرآن الكريم يعطينا بيانا قاصدا مقدرا على حاجة النفوس البشرية لاستشعار هذا المعنى، ومع هذا القصد اللفظي البريء من الإسراف والتقتير تجده قد جلى لك معنى الأمن في صورة كاملة لا تنقص شيئا ولا تزيد .

فلو نظرنا من أول وهلة للآيات القرآنية التي تناولت معنى الأمن؛ في موادها وتركيبها – وقفنا علي حسن توظيف دوال الأمن في هذه الآيات؛ بمعنى أن البنية الإفرادية لهذه الدوال داخل سياقاتها المختلفة – لها خصائصها وجمالياتها وأثرها في نفوس المستمعين والقارئين

وهذا ما سنحاول أن نستجليه – تفصيلا – في عدد من السياقات والأحوال والمواقف في الصفحات الآتية:

أولا: دالة الامن بين التقديم والتأخير وسر تنوعها:

إذا أردنا الكشف عن علائق التراكيب التي قُدم فيها لفظ الأمن في بعضها وأخر في البعض الآخر، وابتغينا الغوص للتعرف على وجوه اختلاف سياقاتها وتناغيها وتواصلها .. فإنه لا بد لنا أولاً أن نستجلي الملابسات التي ورد فيها ذكر كل .

فمن هذه الصور ما جاء في سياق تدبير الله – ﷻ – وتأمينه لعباده المؤمنين في مواطن الخوف وملاقاة العدو، في مقامين مختلفين؛ حيث إنزال السكينة والأمنة[١]، وهو النعاس الذي غشيهم وهم مشتملون السلاح[٢] مِنة منه – ﷻ – على صحابة الرسول – ﷺ – المرابطين في غزوتي بدر وأحد، ففي غزوة بدر، يقول تعالى: { إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ } [آل عمران: ١٥٤].

وفي غزوة أحد، يقول تعالى: { ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ } [الأنفال: ١١].

فنلاحظ التباين التركيبي – تقديما وتأخيرا – في وضعية (الأمنة / النعاس) في الآيتين الكريمتين، حيث قدم النسق الكريم النعاس على الأمنة في الأولى، وقدم الأمنة على النعاس في الثانية .

---

(١) الفرق بين الأمن والأمنة – وإن كانا متقاربين – أن الأمنة تختص فيما إذا كان سبب الخوف حاضراً، مثل حالة حرب العدو وحصاره كما في الآيتين الكريمتين، أما الأمن فهو شامل لما هو أعم من ذلك. [ينظر: كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): ٣٨/١، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

(٢) تفسير ابن كثير: ١٤٤/٢.

والمتأمل للسياق الذي قُدم فيه لفظ (أمنة) مثلا على (النعاس) وكان مقتضى الظاهر أن يقدّم النعاس ويؤخر الأمنة؛ لأن (أمنة) بمنزلة النتيجة والغاية للنعاس تماماً كما جاء في آية (الأنفال).

ولكنه قدّم الأمنة هنا تشريفاً لشأنها؛ حيث جُعِلت كالمنزَّل من الله تعالى لنصرهم، ولأن الأمن فيه سكينة واطمئنان للنفس أكثر من النعاس. فالنعاس يُخشى منه أن يكون نوماً ثقيلاً، وعندها قد يؤخَذون على حين غرّة.

فبعد أن أصيب المسلمون بجراحات كثيرة، من بينها استشهاد سبعين صحابياً، منهم حمزة عم النبي؛ وفي تلك اللحظة الحرجة جداً وعقب هذه الضربات المؤلمة أصيب من كان في قلبه مرض بالرعب الشديد ، وارتعدوا خوفاً وهلعا من كَرّة قريش مرة أخرى ، ولكن الذين اطمأنت قلوبهم بالإيمان، ونعمت نفوسهم بالتوحيد رُزِقوا أمناً عجيباً؛ فالأمن الذي ملأ قلوبهم انعكس على جوارحهم؛ فغطوا في نوم هادئ مريح.

قال الطبري في تفسير هذه الآية: ثم أنزل الله أيها المؤمنون من بعد الغم الذي أتاكم ربكم بعد غم تقدمه قبله (أمنة) وهي الأمان على أهل الإخلاص واليقين دون أهل النفاق والشك(١).

ثم أخرج الطبري الرواية (٨٠٧٣) عن ابن عباس – م – أنه قال: أمّنهم يومئذٍ بنعاس تغشّاهم وإنما ينعس من يأمن (٢) .

فهو تطمين وتأمين لهم لأنها حال خوف حتى " كان أحدهم من شدة نعاسه يسقط سيفُه من يده، ويُطأطأ رأسُه على راحلته (٣)فناسب أن يقدم الأمنة، وحالهم

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣١٥/٧ .

(٢) تفسير الطبري: ٣١٧/٧ .

(٣) جاء ذلك في عدة أحاديث منها: حديث أبي طلحة –ﷺ– قال: " كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أُحُد، حتى سقط سيفي من يدي مرارًا، يسقط وآخذه، ويسقط فآخذه".[أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، ح رقم (٤٠٦٨)، ط: دار ابن كثير: ١٤١٤هـ ١٩٩٣م].

في بدر لم يكن حال خوف مطلق؛ من هنا جاء التقييد (منكم) وهم أهل الثبات وأهل اليقين، أما الطائفة الثانية فهي فئة منافقة؛ لذلك ترك الله تعالى وصفها وتقييدها بـ (منكم) لأنه ليست من المؤمنين الذين أمّنهم الله تعالى بالنعاس.

بل نجد أن استظهار أسرار التركيب – تقديما وتأخيرا – لم يقتصر على بنية الأمن وأسبابها، كالعلاقة بين الأمن والنعاس، كما في السابق؛ بل شمل البني المتضادة (الامن / الخوف) كذلك، وذلك وفق ما يناسبها من دلالات مرادة وإحالات منطوقة ولنقرأْ في ذلك قوْل ربِّنا سبحانه: { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً } [النساء: ٨٤].

وقد تناولت الآية جانباً سياسياً وهو إذاعة الأخبار من غير اعتماد على مصدر صحيح، فهي تدعو إلى وجوب التثبت من الأخبار قبل روايتها وحكايتها وضرورة الرقابة العامة على الأخبار المعلنة؛ وذلك للحفاظ على الأسرار السياسية العامة لبقاء الأمة الإسلامية موحدة متماسكة، لا تتأثر بالدعايات الكاذبة.

فالآية الكريمة تضعنا وجهًا لوجه أمام الشَّائعات التي تتردَّد في المجتمعات أيَّام الحروب، وتعلِّمُنا كيف يتصرَّف الأفراد في الشَّائعات إذا سمعوها تتردَّد في جنبات المجتمع، ثم توضِّح لنا أنَّ الإيمان هو خير عاصمٍ من شرور تلك الشائعات وتوضِّح للرَّسول الكريم – وهو القيادة التي تتطلَّع إليها الأنظار – أن يستمرَّ على قتال العدوِّ مهما اشتدَّ خطر الإشاعة، حتى ولو قاتل وحْده في الميْدان، فذلك وحْده خليقٌ أن يردَّ بأس العدو ويحبط مؤامراتِه، والله من ورائِه محيط[١].

وتطالعنا في هذه الآية أوضاع المجتمع في عصر صدر الإسلام في فترة من أحرج الفترات بين أحُد والخندق، وهي فترة نشطت فيها دعايات العدو بقصد

(١) أمن المجتمع المسلم كما يصوره القرآن، مقال للأستاذ/ محمد بدوي، مقال منشور على موقع الألوكة بتاريخ: ٢٠٠٩/٢/٢٥م – ١٤٣٠/١/٢٨هـ .

إشاعة البلبلة في صفوف المجاهدين، وبثِّ الوهن والضعْف في نفوسهم، وكان المجتمع يوْمذاك طوائف عدَّة، منهم المنافِقون، ومنهم اليهود، ومنهم فئة لَم ترتفع بإيمانِها إلى درجة الحصانة من عوامل الإغْراء والضَّعف، ومنهم السذَّج، الذين لا خبرةَ لهم بأساليب الحرْب النفسيَّة، فهم يردِّدون كلَّ ما يسمعون عن حسْن نيَّة، كل هذه الطَّوائف كانت تردِّد ما تسمع، إمَّا عن سوء نيَّة أو عن سذاجة، فيتلقَّفها لسان عن لسان، وينقلها فردٌ عن فرد، فلا تلبث أن تملأ رحاب المجتمع، ومن البدهي أنَّ نيَّات اليهود والمنافقين مدخولة، فهم يردِّدون الإشاعة عن عمْد وقصد، كلَّما سمعوا شائعة طاروا بها لتفتَّ في عضُد المجتمع المسلم فيلقي السلاح [١].

قال أهل العلم بالتفسير: وفيها " إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها، فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة[٢]، إذا جاءهم خبر أي خبر، من الأمن أي: الفتح والغنيمة (أو الخوف) القتل والهزيمة [٣] ما يتوثقون بصحته أذاعوا به حديثًا لأنها الوسيلة المتاحة عندهم، وفي لفظ الإذاعة خاص بالنشر الكبير، الذي ينتشر في الناس؛ لأنه سيؤول إلى تخويفهم أو إلى تأمينهم .

فتأمل: كيف قدم في الإنكار أخبار الأمن السارة، فالتسرع في خبر البشائر أخطر منه في المخاطر[٤] فإذاعة خبر وشائعة الأمن الزائد المفرط قد تكون أكبر أثراً في تحقيق هزيمة لطائفة مسلمة من شائعة خوف في مرحلة ما، ووضع

---

(١) أمن المجتمع المسلم كما يصوره القرآن، سابق .

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٦٨/٢.

(٣) تفسير البغوي: ٢٥٥/٢.

(٤) ينظر: أفياء الوحي، د/ عبدالله بلقاسم البكري، ص ٢٠٣، مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤٣٧هـ.

حرج، وهو ما أكدته صورة الجناس من ترتيب مقصود في قوله (الأمر، الأمن)[١] حتى كأن إيراد الحديث عن الأمن هو الأولى في التقديم، مما يعكس ارتباطا بين ما يوفره الجناس والمعاني الداخلة فيه .

وهكذا جاء النظم – تقديما وتأخيرا – غاية في التناسق بين مفرداته والتآخي بين جمله، كما يجئ التقديم والتأخير للأوقات والغايات، محققاً الغرض الذي يهدف إليه سياق النص القرآني الكريم .

(١) حيث اتفقت الكلمتان بعدد الحروف واختلفتا في آخر الحروف، وهنا مخرج الراء: من طرف اللسان مع ما يلي ظهره مع ما فوقه من أصول الثنايا العليا، ومخرج النون: = = من طرف اللسان مع ما فوقه من الأصول العليا، فمخرج الراء قريب من مخرج النون، وهو ما يسمى بالجناس المضارع .

ثانيا: صيغ الأمن و التبادل بين الخبرية والانشائية :

من الملاحظ أن مادة الأمن – جذرا او أيا من مشتقاتها – لم ترد في القرآن الكريم على صيغة الأمر أو النهي الصريحين، ولو مرة واحدة، مع أن مضاد هذه المادة وهو (الخوف) قد ورد في مقامات الأمر والنهي، مجتمعين: كما في قوله تعالى: { إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [آل عمران: ١٧٥].

أو النهي منفردا: كما في قوله: { قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ } [طه: ٦٨] مع اتفاق المادتين في التعدية والضدية الظاهرة .

ولعل السبب في كون هذه المادة لا يمكن أن يتوجه إليها الأمر لأنها دالة خاصة، يتبعها حالة خاصة كذلك، تأتي لعارض أو سبب وتزول لسبب، حالة شعورية لا يستقيم معها فعل الأمر، نابعة من الداخل؛ ولذلك لم ترد في القران الكريم على صيغة الامر مطلقا، ومع أنها من الفاظ المعاني التي يمكن أن تخضع للأمر بدواله المباشرة، الا أنها مفارقة لها؛ بسبب هذه الخصوصية، وإنما يمكن أن تأتي لازمة للمعاني السابقة عليها، مثل قولك: عش بأمان، أو سر آمنا .. على معنى ائمن في عيشك أو في سيرك ..

وللتعبير عن معنى الأمر في هذه الدوال؛ استخدم النظم الكريم ما يفي بطلب تحققه عن طريق تصدير الحالة في شكلها الخبري التقريري على معنى الجعل التكويني أو التشريعي الوارد في قوله: { وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا } [البقرة: ١٢٥] " [(١)] .

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ٥٢/٢، قدم له الدكتور/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي – أستاذ التفسير بالمعهد العالي للدراسات الاسلامية، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ١٤١٢هـ .

ومن هذه الصور التي ظهر فيه التبادل بين الخبرية والإنشائية – وإن لم تكن منه، ولم يصرح بلفظ الجعل – ما ورد في مقام بيان تكفله – تعالى – بحماية بيته الحرام وحفظه وتأمين الداخل فيه وذلك في قوله: { وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا } [آل عمران: ٩٧] .

وقد تعددت الأقوال في معنى الآية الكريمة والمعتبر منها أن معنى الآية: أن هذا الأمن على النفس من آيات الحرم وخصوصياته؛ لأن الناس كانوا يُتخطفون من حواليه، ولا يصل إليه جبار(١)، فقصد الله تعالى بذلك تعديد النعم على كل مَن كان بها جاهلاً، ولها منكراً من العرب .

أو أن الآية الكريمة خبر بمعنى الأمر، تقديره: " ومَن دخله: فأمِّنوه "، كقوله تعالى: { فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ } [البقرة: ١٩٧]، أي: لا ترفثوا، ولا تفسقوا: الأمر بتأمين من كان فيه من الناس داخله وهو ما توفر من إيقاع الفعل مثبتا على التقريرية الظاهرة، حتى استدل به بعض الفقهاء على ترك إقامة الحد على من حل بالحرم " (٢).

قال ابن القيم – / –: " وهذا إما خبر بمعنى الأمر؛ لاستحالة الخُلْفِ في خبره تعالى، وإما خبرٌ عن شرعه ودينه الذي شرَعه في حرمه، وإما إخبارٌ عن الأمرِ المعهود المستمِرِّ في حرمه في الجاهلية والإسلام، كما قال تعالى: { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ } [العنكبوت: ٦٧]، وقوله

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٣٤٣/٢.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي: ١١١/٢، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

تعالى: { وَقَالُواْ إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا، أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيءٍ } [القصص: ٥٧] (١).

والقول الأول الذي ذكره ابن القيم هو الأليق بمعنى الآية.

فالمعنى: وجب أن يؤمَّن، وليس المعنى أنه لا يقع فيه أذى لأحدٍ، ولا قتل، بل ذلك قد يقع، وإنما المقصود: " أن الواجب تأمين من دخله، وعدم التعرض له بسوء؛ وهو مروي عن ابن عبَّاس، وابن عمر، وسعيد بن جبير، وعطاء، وطاوس، والشعبي(٢) كأنه قال: هو آمن في حكم الله – تعالى – وفيما أمر به(٣).

فيكون الأمن المراد في الآية هو الأمر بتأمين من يدخل الحرم، فليس خبراً مجرداً كما هو الحال في وصفه أيام الجاهلية، ولا يتعارض مع ما ورد في شأن آخر الزمان أنه يأمن فيه داخله من الدجال، كما ورد في بعض الاحاديث(٤).

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية: ٤٤٥/٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثالث ١٩٨٢م.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩/٤، ط: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس ١٩٩٧م .

(٣) ينظر: أحكام القران للجصاص، حمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر: ٣٠٤/٢ تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٠٥هـ.

(٤) منها حديث تميم الداري، من أن المدن المحرمة عليه: مكة والمدينة، قوله: " غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليه كلتاهما ". [صحيح مسلم بشرح النوري: ٨٣/١٧، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية ١٣٩٢هـ .

ثالثا: الأمن بين التقييد والإطلاق:

تأسيسا على فكرة أن الأمن خصوصية شعورية يصعب رصد بُعدها المعنوي وانطلاقا من فكرة أن دوال الأمن في القرآن الكريم لم ترد مقيدة بشيء، لا بوصف ولا بإضافة، لذا تباينت الآراء حول مدى ثبات الصفة ومحدودية إطلاقها في النظم الكريم .

فهل الأمن صفة كلية شاملة لا تتجزأ ولا تقبل التبعيض، إما أن تكون وإما أن لا تكون، أم أنها تتجزأ، وتأتي في حال دون حال، وفي موضوع دون موضوع ؟

يمكن أن نقرر في هذا الصدد أن إطلاق الأمن في القران الكريم، على ما يظهر من معاني الآيات الكريمة، يمكن إدراجه تحت صنفين من الحالات؛ بل والحيوات إن صح التعبير، فمنها ما ينسحب على وقائع الدنيا وحالات النفس الانسانية؛ ضبطا لحركتها فيها، ومنها ما يتحقق في الدار الآخرة وصفا لأهل الايمان، أو وصفاً لمستقرهم الأبدي فيها مكانا وزمانا وحالة، على ما بين الصنفين من تفاوت في العمومية والخصوصية في الحالة المعبر عنها، وعليه يمكن تصنيف الأمن صنفين: الأمن الدنيوى والأمن الأخروي .

إن إيقاع الوصف بالأمن مرتبط في الأساس بالسياق الذي ورد فيه، فيختلف التعبير بين أسلوب التقرير، حين يتعلق السياق بالجعل التكويني او التشريعي من قبل الله – ﷻ – وبين مجرد وصف الحالة على الحكاية التي ترتبط بظرف معين أو حالة خاصة، كما هو الشأن في وصف الحالة المقيدة بظرف خاص تحديدا؛ ومن هنا يتحتم أن يكون الوصف بالأمن جزئيا مقيدا في بعض الآيات الكريمة، وكليا مطلقا في بعضها الآخر .

مما يؤكد ان ديمومة الشعور بالأمن وثباته، أو انقطاعه وزواله، تقترن سياقيا بحالة الوصف والموصوف، وبحالة الفعل، والزمن كذلك، وهو ما يفسر التباين في هذا الوصف في الحالات المعاشة دنيويا وأخرويا كما وردت في القرآن الكريم.

على خلفية ما سبق؛ وبصدد الحديث عن ثبات الصفة أو تحولها يمكن التوقف أمام بعض النماذج القرآنية المتباينة في الغاية والهدف، نستجلي معها طرائق التعبير المناسبة لكل مقام:

أما في الدنيا؛ فالأمن المطلق غير واقع، إذ يشوبه الخوف من انقطاع الأمن، والخوف من زوال الحياة نفسها.؛ ذلك أن الإنسان مهما أوتي من نعمة، ومن سلامة نفس وبدن ووفرة رزق، لا يحس بالأمن الكامل، أو الأمن بمعناه المطلق الذي ينافي كل خوف مهما كانت أسبابه. فالأمن المطلق لا يوجد إلا في دار النعيم التي وعد الله بها عباده الصالحين .

وهذه طائفة من الآيات القرآنية التي تناولت مفهوم الأمن، والذي جاء فيها وصفا لحالات دنيوية معاشة، وفي مقامات مختلفة، تباين معها أسلوب الخطاب والمخاطب كذلك، ولكنها اتفقت جميعا في محدودية الصفة وإطلاقاتها:

قوله تعالى: { سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ } [سبأ: ١٨].

وقوله: { وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ } [الحجر ٨٢].

وقوله: { ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ } [يوسف ٩٩].

وقوله: { لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَآءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ ... } [الفتح: ٢٧].

نلاحظ أن كل صورة في السابق مقيدة بظرف خاص أو بإحالة لفظية معينة أو بضميمة لفظية مناسبة حجمت من إطلاقات المعاني الوصفية، وأطرتها داخل مدة معينة أو حالة خاصة .

ففي الآية الاولى حكاية عن أهل سبأ الذين بطروا نعمة الراحة والأمن من تتابع القرى وتلاحقها اثناء أسفارهم، وهو ما يعني أن " الأمن حاصل لهم في

سيرهم ليلاً ونهاراً [١] فحالة الأمن مقيدة بحالة السير في الايام والليالي المعدودة، وهو ما يفهم من تنكير (ليالي وأياما) تنبيها على قصر سفرهم [٢] .

أما في قصة أصحاب الحجر، وهم (ثمود) قوم صالح – عليه السلام – فنلاحظ ارتباط الأمن بالحكاية الماضوية سردا (كانوا) مع ارتباط الحال (آمنين) بفعل النحت زمنيا، ما يؤكد انتقاءها في مرحلة تالية، حيث حصول الكفر السالب لها .

(حالة الأمن / النعمة) سببا واضحا . حتى ذهب ابن كثير– رحمه الله – إلى أن " الدافع وراء فعل النحت كان اللهو والعبث " أي نحتوا بيوتاً من الجبال من غير خوف ولا احتياج إليها، بل أشراً وبطراً وعبثاً " [٣] .

أما قوله: { ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ } فالأمن على ما يظهر من أقوال المفسرين، مرتبط سياقيا إما: بحال الدخول الى مصر، على معنى: " أنكم آمنون من فرعون، وكانوا لا يدخلونها إلا بجوازه " [٤].

كما أن فعل المشيئة قد قوى هذا المعنى، ففي الكشاف: أن المشيئة تعلقت بالدخول المكيف بالأمن؛ لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم، فكأنه قيل: أسلموا وآمنوا في دخولكم إن شاء الله، والتقدير: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين، فحذف الجزاء لدلالة الكلام، ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال[٥]، والاستثناء داخل في الأمن لا في الأمر بالدخول؛ لأنه إنما يدخل في الوعد لا في الأمر [٦] فالتقييد بالمشيئة عائد إلى الأمن وقد اختاره الرازي، لأن دخولهم لا يكون إلا بمشيئة الله سبحانه، حيث قال: ولا مانع من عوده إلى

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٥، ٢٦ .
(٢) تفسير القرطبي: ٢٨٩/١٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٤.
(٤) تفسير القرطبي: ٢٣٠/٩.
(٥) الكشاف للزمخشري: ٣٢٥/٣، مكتبة العبيكان، ط: الأولى ١٩٩٨م.
(٦) تفسير أبي السعود: ١٣/ .

الجميع، لأن دخولهم لا يكون إلا بمشيئة الله سبحانه، كما أنهم لا يكونون آمنين إلا بمشيئته .

وقيل: إن التقييد بالمشيئة راجع إلى قوله: { سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي } [يوسف: ٩٨] وهو بعيد [١].

أو أن الأمن مرتبط بالإقامة التالية للدخول إلى مصر، وهي على كل حال مدة محددة زمنيا، أي آمنين مما كنتم فيه من الجهد والقحط[٢] أو مما تكرهون على العموم[٣]، حتى قيل: إن الله تعالى رفع عن أهل مصر بقية السنين المجدبة ببركة قدوم يعقوب عليهم، كما رفع بقية السنين التي دعا بها رسول الله – ﷺ – على أهل مكة حين قال: " اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف " [٤] .

أما آية الفتح: فهي حديث عن رؤيا النبي – ﷺ – وبشرى بدخول مكة المكرمة والتي تحققت في عمرة القضاء سنة سبع من الهجرة، أي بعد حادثة الرؤية بعام كامل، مما يشير إلى أن فعل الامن مرتبط بزمن الدخول والإقامة؛ بدليل توالى الأحوال المؤطرة لعملية الدخول الشهيرة، والأشخاص الداخلين إلى البلد الحرام، فهم (آمنون) لا يخافون أهل الشرك[٥] وقت الدخول، و(محلقون ومقصرون) وجملة (لا تخافون) في موضع الحال فيجوز أن تكون مؤكدة لـ "آمنين" تأكيدا بالمرادف للدلالة على أن الأمن وقت الدخول كامل محقق[٦]، أي آمنين أمن من لا يخاف، أي لا تخافون غدرا عند دخولكم .

---

(١) تفسير الرازي: ٧١٤/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ٢٠٠٠م .
(٢) تفسير القرطبي: ٢٨٩/١٤.
(٣) تفسير الرازي: ٧١٤/١.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤١١/٤.
(٥) تفسير الطبري: ٢٥٧/٢٢.
(٦) تفسير الطبري: ٢٥٧/٢٢.

كذا ارتباطها بفعل المشيئة المتربط حضوريا بخبر مستقبل؛ إذا كان حصوله متراخيا [١].

هذا في الدنيا، أما في الآخرة؛ فالحالة مغايرة تماما، لأنها تأتي من قبيل إنفاذ الوعد منه – سبحانه – أمرا وتسخيرا أو تقريرا وإخبارا، ففي الجنة لا يكون خوف ولا فزع ولا انقطاع ولا فناء، بل ديمومة مطلقة .

وهذا ما نراه في هذا المشهد الذي يصور فيه القران الكريم منزلة المتقين العالية في الجنة، وهو مشهد شاخص للعيان، تتداعى فيه الألوان والصور والحركة والأصوات لتؤكد حتمية الديمومة الأمنية إطارا للمعاش الأخروي الأبدي في الجنة.

يقول تعالى: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ } [الدخان: ٥١ – ٥٥] .

هي – إذن – منزلة تقتضي الأمان؛ إذ لا فائدة ترجى من حظوة يتبعها خوف، وهنا لفتة، فوصف القرآن المكان بـ (آمين) بدلا عن (آمن) في قولنا (مكان آمن) فيه استعارة؛ لأن المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره [٢].

والحظوة هذه لابد ان يتحقق لصاحبها ملامح التكريم الحسي والمعنوي؛ ليتم الترابط بين أجزاء الصورة، ولذا جاء التفصيل المتمثل في العيون والأنهار واللباس والطعام واللذة، ولهذا النعيم صفة الخلود التي تتسق مع كلمة أمين، وتتفق أيضا مع وقاية الله المؤمنين نار الجحيم، وبذلك يتحقق التكامل للصورة.

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٧/٢٠٠.

(٢) الكشاف: ٥/٤٧٨.

ولما كانت هذه الصورة في تشكيلها الأساسي كلمات معبرة دالة، فقد جاء الإيحاء بالألفاظ، فكلمة (أمين) توحي بالطمأنينة والسلام، كما ان لفظ (متقابلين) يرسم ظلا لمجلس السمر السعيد، ولعل في تكرار الفعل المضارع (يلبسون، لا يذوقون، يدعون) من الحركة ما يدل على الاستمرارية على حالة الحبور، الذي يليق بذلك المقام الأمين .

بل إن التناغم بين الفعل المضارع (يدعون) الدال على التجدد، والحال المصاحبة له (آمنين) في قوله: { يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ } [الدخان: ٥٥]، قد دل على الاستمرارية والدوام كذلك، فهو يدل على تجدد الحال لتجدد الفعل .

إن القاسم المشترك بين مجمل الآيات التي تتحدث عن النعيم الأخروي هو التأكيد على طلاقة الأمن ظلا ممتدا لهؤلاء الذين استحقوا الفوز به، فتأتي المترادفات لتكون معا ظلالا لفظية ترسخ هذا المعنى وتؤكده، فالأمن والسلام المطلقان هما العنوان المترائي للعيون على باب الدخول، ولنقرأ معا في ذلك قوله تعالى: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ } [الحجر: ٤٥ – ٤٨]

فالمراد: ادخلوا الجنة مع السلامة من كل الآفات في الحال، ومع القطع ببقاء هذه السلامة، والأمن من زوالها[١].

فهم آمنون من كل خوف وفزع، لا يخشون من إخراج، ولا انقطاع، ولا فناء[٢] آمنون من أن يسلبوا نعمة أنعمها الله عليهم، وكرامة أكرمهم بها [٣].

---

(١) تفسير الرازي: ١٥٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٣٧/٤.

(٣) تفسير الطبري: ١٠٧/١٧.

كما أن التذييل في الفاصلة: { وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ } [الحجر: ٤٨] قد حسم هذا الأمر على النحو الذي تستقيم معه الأبدية والخلود، فهم قد أمنوا فيها من الموت والخروج، أو كما قيل " هذه أنص آية في القرآن على الخلود "[١].

وفي هذا الخلود الدائم وعلمهم به، تمام اللذة وكمال النعيم، فإن علم من هو في نعمة ولذة بانقطاعها وعدمها بعد حين – موجب لتنغص نعيمه وتكدر لذته[٢].

(١) تفسير البغوي: ٣٨٣/٤، بتحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، ط: دار طيبة، ط: الرابعة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

(٢) تفسير فتح القدير للشوكاني: ٢٦٣/١، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٤م .

رابعا: التكامل الوصفي لفكرة الأمن:

يتميز القرآن الكريم بإعطاء نماذج حية وواقعية للحالات والوقائع عن طريق تتابع الصفات اللاحقة للمشاهد المختلفة، وذلك بتقديم دفقات معنوية وشحنات تأكيدية للمعنى المراد، فلا يكتفى النظم الكريم بتصدير اللفظ المعبر مجردا، بل يورد لنا – أحيانا – بعض لوازم الصفة المرادة، تأكيدا لها من جهة، وإقرارا لثبوت الحالة الضدية لها في حالة انتفاء الأولى في آن واحد، وذلك في مشهد تكاملي واضح، وهو ما نلحظه في الحديث عن القرية التي بدلت دواعي أمنها واستقرارها بأسباب القلق والتعاسة .

يقول تعالى: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } **[النحل: ١١٢]**، فالآية الكريمة مسوقة مثلا يحمل لنا العبرة والعظة والتحذير من أسباب زوال النعم كلها: بتقديم السبب السالب لقيمة الأمن { فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ } تنبيها بالأدنى على الأعلى، أي: أن كفران النعم القليلة لما كان موجبًا للعذاب؛ فكفران النعم الكثيرة أولى بإيجاب العذاب [١].

ولما كان هذا الأمن من آثار الإيمان بالله ورسوله، بين الله تعالى أن زوال هذه النعمة يكون بزوال سببها أي " حصل الكفر عقب النعم التي كانوا فيها إذ بطروا، فأشركوا بالله وعبدوا غيره " [٢]، والتعقيب في قوله: (فَأَذَاقَهَا) عرفي في مثل ذلك المعقّب، لأنه حصل بعد مضي زمن عليهم، وإمهالهم بعد الإنذار على كفرهم بالله ورسوله [٣] .

---

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي: ١٠٢/٢٠.

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٢٦٤/١١، ت: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م، التحرير والتنوير: ٣٠٦/١٤.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠٦/١٤.

هذا المثل وقع متناسقا مع ما قبله، جاريا بتجانس مع الأنساق التعبيرية في سورة النحل وما فيها من نسيج بديع، وتعداد للنعم، حتى سماها العلماء (سورة النعم)، فكان مناسبا جدا للمقام أن يذكر هذا المثل ضمنها؛ لما فيه من نعم اعطاها الله لأناس كفروها .

ولما عقب – سبحانه – ما ضرب سابقاً من الأمثال بقوله تعالى: { وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ } [النحل: ٧٢] وتلاه بذكر الساعة بقوله تعالى: { وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ } [النحل: ٧٧] إلى آخره، واستمر فيما مضت مناسباته آخذاً بعضه بحجز بعض، حتى ختم بالساعة وآمن من الظلم فيها، وبين أن الأعمال هناك هي مناط الجزاء، عطف على ما مضى – من الأمثال المفروضة المقدرة المرغبة – مثلاً محسوساً موجوداً، مبيناً أن الأعمال في هذه الدار أيضاً مناط الجزاء، مرهباً من المعاجلة فيها بسوط من العذاب فقال تعالى: { وَضَرَبَ اللَّهُ } (١) .

والآية كما هو معلوم مكية، والبيئة التي يعيشها المسلمون ينعدم فيها الأمن بسبب أذى المشركين، فكان فيها تحذير للمشركين؛ وتنبيه وتعليم للمسلمين لتهيئتهم لمرحلة مقبلة آتية، وهو ما حدث تحقيقا في العهد المدني .

وقد أشار الفخر الرازي إلى ربط هذه الآية بما قبلها؛ بالتنبيه على المقابلة بين صورتين في المشهدين الدنيوي والأخروى، حيث قال:" لما هدد الكفار بالوعيد الشديد في الآخرة هددهم أيضا بآفات الدنيا، وهو الوقوع في الجوع والخوف، كما ذكره في هذه الآية (٢)

(١) نظم الدرر: ٣١٦/٤ .

(٢) مفاتح الغيب: ١٠٢/٢٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ٢٠٠٠م .

وقد ذهب بعض المفسرين إلى تعيين القرية بأنها مكة، فنظر إلى الجو الذي نزلت فيه الآية في مكة والسياق الذي جاءت به [١] وبعض العلماء ذهب، إلى أن هذه القرية غير معينة، وإنما مثل سيق للتنبيه بسوء عاقبة الكفر بعد الإيمان، وتأكيد سنته تعالى فيمن كانت حالته كذلك[٢] ولأنها ضربت مثلاً لمكة، ومثل مكة يكون غير مكة) [٣] .

ومهما يكن من أمر التعيين فقد جعل القرآن مثل القرية موصوفة بصفات تبين حالها المقصود من التمثيل، وترشد إلى أسس ومقومات منظومة العيش الرغيد الأساسية والسعادة الحقيقية للمجتمع المطمئن المستقر،

فهي (آمِنَةً .. مُطْمَئِنَّةً ... يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) ثلاث صفات كل واحدة تمثل ضرورة حياتية ضامنة لابد منها في أي مجتمع: الأمن من الخوف، والاستقرار في الأرض وراحة البال، ووفرة العيش وتيسره، "وقدم الأمن على الطمأنينة لأنها لا تحصل بدونه، كما أن الخوف يسبب الانزعاج والقلق" [٤].

فقوله تعالى: (آمِنَةً) إشارة إلى الأمن الاجتماعي والسياسي المتعلق بقيام كيانها.

---

(١) كما ذهب إلى ذلك ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور، وقال ابن الجوزي: إنه الصحيح. [انظر: زاد المسير ابن الجوزي: ٣٦٥/٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ، تفسير البغوي: ٨٧/٣، تفسير الرازي: ١٠٢/٢٠، تفسير القرطبي: = = ١٢٧/١٠. الأمثال القرآنية عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٦٩. ط: دار القلم دمشق، ط: الثانية ١٤١٢هـ].

(٢) وإلى ذلك ذهب الحسن إذ قال: (إنها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز، فبعث الله عليهم الجوع حتى كانوا يأكلون ما يقعدون. [زاد المسير: ٣٦٥/٤]. وذهب البقاعي إلى أنها قرية من القرى الماضية كقوم هود وصالح و.. كانوا مثل أهل مكة. [انظر: نظم الدرر: ٢٦٤/١١].

(٣) تفسير الرازي: ١٠٢/٢٠ .

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠٥/١٤.

وقوله تعالى: (مُطْمَئِنَّةً) إشارة إلى الأمن النفسي والصحي.

وقوله تعالى: (يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) إشارة إلى الأمن الاقتصادي والتجاري وما يتعلق بهما من أمن سبله ووسائله وأدواته.

وقوله (من كل مكان) ليدخل كل سبيل يمكن دخول الرزق منه، سواء البر أو البحر أو الجو، فكان هذا الترتيب بيان لأولوية كل أمن على أمن.

فحين يوجد الأمن توجد أشياء أخرى معه، وترافقه خيرات وبركات، فمع وجود الأمن في قلوب الأفراد وفي المجتمع، تأتي خيرات ويقع ازدهار جامع، تحقيقا لحالة السلم العام، فحين ذكر سبحانه (آمنة) أردفها بلواحق وضميمات مكملة للمعنى (مطمئنة) (يأتيها رزقها رغدا) فلا يكون أمن بلا طمأنينة، ولا طمأنينة بلا توفر مصادر للرزق

فقوله: {مُطْمَئِنَّةً}، أي: لا يزعجها خوف؛ لأن الطمأنينة مع الأمن، والانزعاج والقلق مع الخوف [1] ثم تأمل ذكر الطمأنينة بعد الأمن مباشرة دون عطف بالواو لكونها ملازمة له، حتى وإن لم تكن هي إياه تماما؛ بيد أنها من أعظم نتائجه وملزومياته، فالقرآن قدمها على أنها أول نعمة مترتبة على الأمن، عن طريق الايحاء الشفيف، وأسرع ثماره سبقا إلى الوجود، ثم إن وجودها هو نفسه نوالها، لا كثمر الجنان يحتاج الى جنى ثم أكل، تلك هي النعمة المعنوية الكبيرة، بيد أن أكبر منها هو جالبها الذي يتمثل في الأمن، لذلك قدمه الله تعالى في الذكر، ثم هو لا معنى له الا بحصول الطمأنينة، فقد يكون الأمن ولا تكون الطمأنينة، إذ كان احتمال الخوف متوقعا، ووقوعه محتملا في لحظة ما، ولو المستقبل البعيد، فيكون المرء خائفا على نسله وإن لم يخف على نفسه، ولكن

(١) أضواء البيان في إيضاح القران بالقران: محمد المختار الشنقيطي: ٢٦/١٧، الناشر: مجمع الفقه الإسلامي بجدة ١٣٩٣هـ .

تلك القرية كانت مطمئنة لا تخاف شئيا لا حالا ولا مآلا، كانت في تمام الرفاهية والانس والسكينة [١] .

فتأمل كيف جمع التعبير القرآني لها هذا كله في كلمتين متعاقبتين فقط، ثم إن الطمأنينة كالأمن عامة في جميع الجوانب؛ لأنها وردت مطلقة؛ فاستلزم الفهم بقاؤها على إطلاقها، لذلك كانت نعما لا تحصى: طمأنينة في الرزق، في النفس وفي العرض، وفي العقل براحة البال [٢] .

فبلاغة القران الكريم العالية قد اقتصرت على لفظى الطمأنينة والأمن؛ لكونهما يستلزمان كل أنواع النعم والخيرات، كما يستلزم الجوع والخوف أنواع النقم والمضرات .

كما نجد مثل هذه التتابع الوصفى كذلك في الحديث عن مكانة ومنزلة مكة المكرمة وما أسبغه الله تعالى على أهلها من أسباب الأمن والاستقرار، في قوله تعالى: { أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ } [القصص: ٥٧].

وقد تجلى ذلك في ذكر المكان (حرما) منسوبا إليه الأمن، والإخبار عن المكان بأنه (آمنا) ونظم الأمر في سلك ما هو بالغ الراحة، ووصفه بأنه من تمكين الله – ﷻ – وكفي به، وترتيب مضار مؤذية على عدم تقدير هذه النعمة في صورة الاستفهام .

إن إيراد الصفات والظروف اللاحقة لصفة الأمن (يجبى .. إليه ... رزقا .. من لدنا) قد وظفت لتأكيد حالة التمكين المصدَّرة، على نحو تتفاعل معه هذه الضميمات داخليا في حركة تصاعدية؛ لاستظهار معنى لصوق الصفة بالمكان أيما التصاق، فالتعبير بالمضارع (يجبى) يؤكد الاستمرارية والديمومة غير المقيدة،

---

(١) ينظر: جماليات المثل دراسة أسلوبية: عيسات قدور سعد، ص ٢٣٥، رسالة ماجستير جامعة وهران – الجزائر ٢٠١٥م.

(٢) جماليات المثل دراسة أسلوبية: عيسات قدور سعد، ص ٢٣٥.

وتقديم الجار والمجرور (إليه) يفيد الخصوصية والتوجيه و(من لدنا) يشير إلى المنحة الإلهية والهبة الربانية؛ وكأن هذه الإطلاقات اللغوية هي ترسيخ للمفهوم الأسمى للمكان (مكة المكرمة) مفعماً بالمعاني والدلالات المتتابعة التي لا تحدها حدود، ومن ثم؛ كان القسم بالبلد الأمين الوارد في قوله تعالى: { وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ } [التين: ١ – ٣] واضحا صريحا قارا في الوجدان والضمير بلا أدنى لبس أو شك . وأضفى عليها ملمحاً دلالياً، وهو ملمح الأمن والاستقرار؛ حتى هذه الصفة لم يختص بها من البلاد إلا مكة؛ لدرجة أن هذا التركيب صار مصطلحا يطلق على مكة وحدها؛ فإذا ما أطلق فلا ينصرف الذهن إلا لها، وقد استعمله كثير من الشعراء كالبحتري في قوله:

أرى البلد الأمين ازداد حسنا ∴ إذا استكفيته العفى الأمينا [١]

والشريف الرضي في قوله:

إلى البلد الأمين مقومات ∴ يماطلها التعجل والإيابا [٢]

ويدخل في باب تكامل صفة الأمن كذلك، ما يسمى باقتران الدلالات الوصفية أي: دلالة عطف الكلمة على كلمة، ودلالة مجيئِها معها واقترانِها بها.

إن للصفات المقترنة مع صفة الأمن عن طريق العطف من الدلالة على كمالها، ما ليس لهذه الصفة إن جاءت وحدها، وهو ما يتجلى مثلا في المصاحبة اللغوية بين المثابة والأمن في قوله تعالى: { وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } [البقرة: ١٢٥].

---

(١) ديوان البحتري: ٢٥٨/٤، بتحقيق: حسن كامل الصيرفى، دار المعارف، مصر، ط: الثانية ١٩٧١م.

(٢) ديوان الشريف الرضى: ٩٧/١، شرح د/ يوسف فرحات، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

أي: واذكر يا محمد هذا الأمر بعد ذكر ما سبق، وهو جعل البيت مثابة وأمنا من قبل الحق سبحانه وتعالى. أي أن البارئ – ﷻ – شرع على المسلمين أن يعودوا إلى البيت الحرام في صلاتهم بوصفه قبلة، وفي حجهم بوصفه بيت الله المقصود الذي يشد إليه الرحال، وشرع عليهم أن يجعلوا هذا المكان آمناً.

إن الأمر بالركون والالتجاء إليه ورجاء الفلاح في الإثابة إليه هو جوهر فكرة الأمن المسبغ منه – سبحانه – على أهل الحرم؛ فثنائية الأمن والمثابة في قوله تعالى: { مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً } إنما هي تجسيد لصورة متكاملة للملاذ والملجأ المتمثل في المكان النموذج والمثالي

فالداخلون إليه واللاجئون قد تمثلوا معالم الطمأنينة المطلقة، على خلفية الوعد الإلهي، والاستجابة لدعوة الخليل إبراهيم وحرصه – عليه السلام – على أهمية ذلك المكان المعظم، والذي تمثل في كلمات المناجاة والدعاء بقوله: { رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا } [البقرة: ١٢٦][(١)].

وجعل البيت مثابةً للناس وأمنًا، ليثوب الناس إليه من كل مكان آمنين، بما قدره سبحانه فيه من أسباب الأمن والرزق، وبما توارثه سكانه من تعظيم للبيت عن إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام –[(٢)].

وفي هذا التعبير تظهر بلاغة الوصل في الاقتران بين خلتين للبيت وهما (المثابة والأمن) أحداهما تكمل الأخرى، أي الترغيب في الإقبال للبيت والشعور بالأمان في داخله؛ بيانا لمكانته وفضله وتعظيما لحرمته، وقوله: (أمناً) "تأكيد للأمر باستقبال الكعبة أي ليس في بيت مقدس هذه الفضيلة، ولا يحج إليه الناس ومن استعاذ بالحرم آمن من أن يغار عليه"[(٣)] وهذا تقرير لفضيلة الكعبة وقدسيتها؛ لذا

---

(١) تفسير ابن كثير: ١/١٧٥، دار المعرفة – بيروت ١٩٨٣م .

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: ١/٧٠٩.

(٣) المفردات في غريب القران لأبي القاسم الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، ص٣٥٠، تحقيق: محمد السيد كيلاني. دار المعرفة – بيروت، (د.ت).

استعمل لفظ (البيت) إذ قد خصه الله – ﷻ – بأن جعله مثابة ومقصداً للناس يلتجأ إليه لتحقيق الأمان والاستقرار، وبما أن البيت مقصد الإنسان للراحة والاستقرار، فإن أعظم البيوت قصداً للعبادة هو البيت العتيق على ما لا يخفى .

وعلى هذا النحو من متلازمة صفات الأمن المقترنة بالعطف وأثرها الدلالي والبياني، ما نجده كذلك من المصاحبة اللغوية المقترنة بالبيان والبدل بين صفة الأمن وأسبابها .

ويمكن أن نتوقف – في هذا الشأن – عند بعض الصور التعبيرية من مقررات واقعية في شأن الأمم الخالية مع أنبيائهم، بحسبان هذه المقررات من سنن الله في الأمم، سابقة للعقاب والجزاء العادل،، فلأهمية هاتين النعمتين الأمن والرزق نبَّه الأنبياء – عليهم السلام – أقوامهم عليها، وبيَّنوا عظيم منَّةِ الله تعالى عليهم بها .

من ذلك ما ورد في قصة ثمود؛ وقوم ثمود كما ورد ذكرهم في القرآن الكريم يُعْتقد أنهم سكنوا منطقة الحجر (مدائن صالح) وقد اشتهروا بولعهم بالنحت في الجبال من أجل صناعة البيوت، كما اشتهرت منطقتهم الواقعة على طريق التجارة بوفرة المياه وخصوبة التربة والحماية الطبيعية المتمثلة في الجبال الصخرية الهائلة والمنتشرة في الكثير من المواقع، وبالتالي ضمنت لهم هذه البيئة الطبيعية نوعا من الاستقرار السكني منذ قديم الزمان .

وكان نبي الله صالح – عليه السلام – قد كرر لهم القول بالتذكير والتأكيد بنعم الله عليهم، ولكن القوم أخذتهم العزة والفخر بما حققوه من حضارة فارهة، كما أصابهم الغرور بقوتهم، فكفروا بأنعم الله، وكذّبوا رسالة صالح، وأنكروا القيامة ويوم الحساب .

فها هو نبي الله صالح – عليه السلام – يتساءل مستنكرا عليهم: { أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ } [الشعراء: ١٤٦ – ١٤٨].

فالآيات ذكرت الأمن والرزق كمتلازمين، لا ينفكان عن بعضهما، فنجد دائماً الأمن يتقدم الرزق؛ لكونه الوسيلة لحصوله ودوامه، فـ تعلق الجار والمجرور (في جنات) بـ (آمنين) ليكون مجموع ذلك تفصيلا لإجمال اسم الإشارة، أي: اجتمع لهم الأمن ورفاهية العيش[١] فالاستفهام إنكاري موجه للترك أي: أيتركك يا قوم ربكم في هذه الدنيا آمنين، لا تخافون شيئا ؟[٢] فنُزل حالهم منزلة من يظن الخلود ودوام النعمة فخاطبهم بالاستفهام الإنكاري التوبيخي وهو في المعنى إنكار على ظنهم ذلك، وسلط الإنكار على فعل الترك لأن تركهم على تلك النعم لا يكون. فكان إنكار حصوله مستلزماً إنكار اعتقاده[٣] .

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠/١٧٥.

(٢) تفسير الطبري: ١٩/٣٨١، ت: محمود محمد شاكر، دار المعارف، سلسلة تراث الاسلام ١٦.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠/١٧٥.

خامسا: معنى الأمن واستدعاء الأدوات المناسبة له:

من المعلوم أن الخوف أمر وارد وطارئ على الإنسان، فهو يؤثر عليه مادياً ونفسياً، ويذهب بنعمة الأمن التي تُمكن الإنسان من السعي والتصرف في هدوء واطمئنان، ولذلك كان للشعور بالخوف – في بعض المواضع – حكم في الشرع يناسب هذه الحال والعكس بالعكس [١]. مما يستدعي معه بالضرورة استخدام أدوات تعبيرية مناسبة للمقام الذي يرد فيه .

ونستطيع أن نتلمس تطبيقاً راقياً لهذا المنحى في استخدام القرآن الكريم أداة الشرط المناسبة لمعنى الأمن ومضاده، وللواقعِ المتحدَّث عنه كذلك، في الحديث عن ضرورة الحفاظ على الصلاة، حيث لم يُجز الإسلام تركها في أي حال من الأحوال.

يقول تعالى: { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } [البقرة ٢٣٩]. فالآية الكريمة مسوقة لتقرير " أن الأعمال الظاهرة تساعد القلب على استحضار الذات الإلهية، والإقبال على الله في كل شيء صعب أو سهل، وفي حالة الصحة وحالة المرض، وفي حالة الخوف وحالة الأمن .فسبحانه هو المهيمن على كل شيء، وهو صاحب الجلال والعظمة [٢] .

وقد وقعت الدالتان المتقابلتان (خفتم / أمنتم) ظرفين وإطارين تقررت فيهما حالات متغايرة من الفعل والسلوك العام تجاه هذه الفريضة.

---

(١) ينظر: الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام: الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر وزارة الأوقاف السعودية ١٤٣٢هـ .

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي: ٧٦٨/١، ط: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط: الثانية ١٤١٨هـ .

فالآية الكريمة تحوي شرطين، ففي حالة الخوف جاء الشرط) فإن) لعدم تحقق وقوع الخوف؛ بحسبان أن الصلاة المصحوبة بحالة الخوف قليلة الحدوث، على حين جاء الشرط الثاني بكلمة (فإذا) لتحقق وقوع الأمن وكثرة حدوثه؛ على اعتبار أنه الحالة الأساس؛ إضافة لما تحمله الجملة الواقعة بعد (إذا) من معنى حتمية التكليف؛ لأن الجملة بعدها جاءت في سياق التكليف، لا مجرد الإخبار، فالذكر في حالة الأمن تكليف حتمي لا شك فيه .

مع الوضع في الحسبان كذلك مراعاة الحالات المصاحبة لكلا الشرطين من الناحية الزمنية وامتداداتها والحالة النفسية وتبعاتها، حيث جاء الشرط الأول موجزا مراعاة لظروف الخوف، الملتبس بالقلق، وكان الشرط الثاني على حالة من الإطناب المناسب؛ وذلك لمناسبة ظرف الأمن والاستقرار ودواعيه؛ حيث المجال متسع للعبادة والذكر على النحو المطلوب، وذلك للعلاقة الظاهرة بين الخاص (الصلاة) والعام (الذكر) وفق الكيفية الواردة في الآية، فيكون المعنى: أنكم لو خفتم أي ضرر من القيام فصلوا كما كان، راجلين مشاة، أو ركباناً، فإن أمنتم أي زال عنكم الخوف، فاذكروا الله واعبدوه، واشكروه على نعمة الأمن، كما علمكم من الشرائع، وكيفية صلاة الأمن .ما لم تكونوا تعلمون في حالة الخوف وحالة الأمن[١] فكان الإطناب هنا زائد عن المعنى، ولكن لفائدة بلاغية والفائدة، وهي ذكر الخاص ثم العام.

وبنفس دقة التعبير في استخدام أداة الشرط جاء قوله تعالى في الحديث عن شعائر الحج: { وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }[البقرة: ١٩٦].

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ٣٩٥/٢ .

فلما كان الخوف أو الإحصار عارضا عليه أيضا استعمل أداة الشرط (إن) بدليل زواله، ودوام الأمن والاستقرار، وجاء بأداة الشرط (إذا) بعدها، في قوله تعالى: { فَإِذَا أَمِنْتُمْ } أي تتابع الرخص في أداء مناسك الحج، ومنها لمن يجد الهديّ، فاذا لم يجد الهدي فعليه بالصوم لقوله: { فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ } ، وهذا من باب ذكر الإجمال بعد التفصيل(١).

قال البقاعي: " ولما كان الله – ﷻ – بسعة حلمه وعظيم قدرته وشمول علمه قد أقام أسبابا تمنع المفسدين على كثرتهم من التمكن من الفساد أشار إلى ذلك بأداة التحقيق بعد تعبيره عن الاحصار بأداة الشك " (٢) .

(١) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبي زكريا الأنصاري، ص ٤٥، تحقيق: محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(٢) نظم الدرر للبقاعي: ١٢٩/٣.

سادسا: دالة الأمن بين كلية الصفة وخصوصية الموصوف:

قد يتأتى معنى الأمن بشموله وكليته متسقا مع خصوصية الموصوف بهذه الصفة، فيأتي الإطلاق خالصا وشاملا ومناسبا لموصوف مخصوص، استقامت معه دواعي الاتصاف وأسبابه الواقعية والمنطقية، فيكون الوصف متناغما مع حيثيات الحكم ومتفقا مع علله، عن طريق حصر الصفة الكلية في هذا الموصوف الخاص.

ولعلها من المرات القليلة التي أطلق فيها الأمن وصفاً شاملاً وحالةً مستقرةً على سبيل التخصيص . إن هذا المعنى حاضر بقوة في هذه الحوارية بين سيدنا إبراهيم – عليه السلام – وقومه، في سياق المحاجة بين أهل التوحيد و أهل الشرك في شأن العبادة والخوف والأمن المترتب عليها:

يقول تعالى: { وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ } [الأنعام: ٨١ – ٨٢].

فهنا فريقان، كل منهما يدعي أنه على الحق، وأن الآخر يجب أن يخاف من معبوده: إبراهيم – عليه السلام – يقول: أنا على الحق وربي الله، ويجب أن تخافوا منه تعالى، لأنكم مشركون، وقومه يزعمون أنهم على الحق، وأن آلهتهم هي الآلهة المعبودة، ويخوفون إبراهيم – عليه السلام – بهذه الآلهة.

وهنا لطيفه نبَّه عليها أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط وهي: اختلاف متعلق الخوف، فبالنسبة إلى إبراهيم – عليه السلام – علق الخوف بالأصنام، وبالنسبة إلى قومه علقه بإشراكهم بالله تعالى تركاً للمقابلة؛ لئلا يكون الله عديل أصنامهم – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا – لو كان التركيب " ولا يخافون الله تعالى " [(١)].

(١) انظر: البحر المحيط: الغرناطي: ٥٧٠/٤.

ثم يفرِّع بعد هذا التعجيب والإنكار استفهاماً ملجئاً إلى الاعتراف بأنهم أولى بالخوف من الله تعالى منه من آلهتهم، والاستفهام عن طريق إضافة (أي) إلى المتعدد المعرفة (الفريقين)؛ ليدلل على التعجب والإنكار، كأنه تعجب من فساد عقولهم، حيث خوفوه خشباً وحجارة لا تضر ولا تنفع، وهم لا يخافون عقبى شركهم بالله، وهو الذي بيده النفع والضر والأمر كله [١] .

فمن الأحق بالأمن ؟ الذي أخلص دينه لله وحده، ونبذ الشرك وأهله، أم الذين أشركوا مع الله غيره ؟ فيأتي الجواب: بأن أهل الإيمان والتوحيد الذين لم يخلطوا إيمانهم بشائبة الشرك هم الآمنون .

ونلاحظ أن تقديم الجار والمجرور في قوله: (لهم الأمن) إنما جاء لحصر الصفة على هؤلاء، على معنى أن الأمن لهم وحدهم " فقد أشارت اللام إلى أن الأمن مختص بهم وثابت، وهو أبلغ من أن يقال: آمنون "[٢].

يقول البقاعي: " أي لهم خاصة "[٣] فهم الأحق بالأمن من الذين أشركوا[٤] فالتقديم يدل على اختصاص الأمن بغير العصاة وهو لا يوجب كون العصاة معذبين البتة، بل خائفين ذلك، موقعين للاحتمال "[٥]، فالقصر بمعنى الاستحقاق؛ فالأمن حقٌّ المؤمنين الصالحين، فضلا عما يشي به الإيجاز في لفظة (الأمن) والاكتفاء بها؛ فقد اندرج تحتها كل ما هو محبوب، وانصرف عنها كل ما هو مكروه، كأن يخافوا فقرًا، أَو موتاً، أو جوْرا، أو زوال نعمة، أو غير ذلك من أصناف المكاره.

---

(١) السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير لعبد الرحمن المطيري، ص ٨٢، منشورات جامعة أم القرى ٢٠٠٨م .

(٢) التحرير والتنوير، ص ٣٣٤.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٦٨/٧، ط: دار الكتاب الاسلامي.

(٤) فتح القدير للشوكاني: ٤٣١/١، ط: دار المعرفة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٤م.

(٥) تفسير الألوسي: ٢٠٨/٧، ت: علي عبد الباري عطية، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ، وط: دار احياء التراث العربي.

وقوله: { وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ } نلاحظ أن الظلم نكرة، جاءت في سياق النفي بـ (لم) ومن المتقرر في علم الأصول: أن النكرة في سياق النفي تفيد الظهور في العموم، فالآية دلت على كلية النتيجة بكلية سببها، فالإيمان هنا كلي خالص من أية شائبة، يقابله أمن كلي سابغ، وهذا يعطينا نتيجة وهي أن القرآن جعل حقيقة الأمن هي في الإيمان، حقيقة الأمن في حفظ حق الله – ﷻ – في الإيمان.

وهذا المفهوم راجع إلى تفسير النبي – ﷺ – للظلم بالشرك، وهو تفسير للمطلق بالمطلق، تفسير مطلق الظلم بمطلق الشرك؛ حيث علم هذا لما نزلت الآية على الصحابة فقالوا: يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه، فذهبوا إلى أنه ظلم النفس بالذنوب والمعاصي أو ظلم الآخرين، ظلم النفس بظلم العباد، فقال: " ليس هذا الذي تذهبون إليه، الظلم الشرك، ألم تسمعوا لقول العبد الصالح: { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان: ١٣] " (١).

(١) الحديث برواية ابن مسعود، أخرجه مسلم في صحيحه، ح رقم (١٢٤)، وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: ظلم دون ظلم، ح رقم (٣٢).

سابعا: انتفاء التقرير في الاستفهام عن الأمن:

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم التي وردت فيها دوال الأمن، على طريقة الاستفهام – مهما كانت صيغه – يلاحظ أن هذا الاستفهام لا يحتمل معنى التقرير أبدا، وكأن ثمة ارتباطا قويا بين غياب دوال الأمن مع صيغ الأمر الظاهرة، وبين غياب التقرير، كمعنى من معاني الاستفهام لذات الدوال، فكما أن الأمن لا يتوفر صراحة مع فعل الأمر – كما سبق – فكذلك التقرير في حالة الاستفهام؛ على معنى انتفاء منح الأمن وحصوله بالفعل لمن توجه إليهم الاستفهام، وخصوصا إذا تأكد أن معظم الفاعلين في مقامات الاستفهام هم على وجه التحقيق ليسوا من أهل الأمن في شيء، ولذا جاء الاستفهام فيها على معاني الانكار والتعجب والتقريع وخلافه، وذلك للارتباط الصريح بين صنيع هؤلاء ومآلهم المحتوم .

نلاحظ ذلك جليا في الاستفهام المصدر بالهمزة تحديدا، ذلك أن دخول مورفيم[1] (الهمزة) على الفعل الماضي الموجب يعني توجيه الإنكار إلى أصل الفعل، بل يتعداه إلى توبيخ المخاطب على ذاك الفعل، كما في قوله تعالى: { أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } **[يوسف: ١٠٧]**.

وقوله: { أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ } **[الملك: ١٦]**.

من حيث إن غرض الاستفهام في هذه الآيات إنكار هذا الأمر الذي هم عليه، بما يحمل من توبيخٍ من الله – تعالى – لهم على أمنهم هذا، وحال لسانهم ينبئ بسوء عاقبة لعصيان قد فعلوه، فالاستفهام إنكار فيه معنى التوبيخ والتهديد[2] .

---

(١) المورفيم: هو أصغر وحدة لغوية مجردة لها معنى، والمعنى هنا هو الاستفهام حاملا معنى الإنكار. [ينظر: أنواع المورفيم في العربية: د/ محمد عبدالوهاب شحاته، مجلة علوم اللغة مج ١ ع ٢، ١٩٩٨م. دار غريب القاهرة].

(٢) انظر: تفسير الرازي: 229/١٧، روح المعاني: ٦٤/٧، فتح البيان في مقاصد القرآن: صديق حسن خان القنوجي: ٤١٥/٦، ت: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

وعلى نفس المستوى من إنكار الفعل وانتفائه ما ذكر المفسرون في قوله تعالى: { أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ } [الأعراف: ٩٧ – ٩٩].

فلا يحس بالأمن المطلق من عذاب الله، إلا الغافلون الخاسرون، وذلك أن هؤلاء القوم المكذبين للرسل – كقوم نوح وعاد وثمود – أغدق الله عليهم النعم والخيرات مع عصيانهم لله، فاستبعدوا أن يكون مكراً واستدراجاً من الله، أو أن يأتيهم العذاب في أي لحظة[١] فالآية تحمل من التخويف البليغ على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمناً على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفاً وجلاً أن يبتلى ببلية تسلب ما معه من الإيمان [٢].

واتصالاً بنفس السياق وتأكيدا على فكرة انتفاء معنى التقريرية في صور الاستفهام الموجهة إلى صيغ الأمن؛ يمكن للقارئ أن يستجلى العديد من المعاني المجازية في كثير من النماذج القرآنية، والتي ليس من بينها التقرير بالطبع .

فمثلا في هذا التجاذب القولي الذي جرى بين إخوة يوسف، ويعقوب – عليهما السلام – لما راودوه عن إرساله بنيامين معهم، ورد يعقوب – عليه السلام – عليهم، كما حكى القرآن الكريم: { قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: ٦٤].

حيث تتجلى فكرة الرفض والإنكار عن طريق الاستفهام وأداته (هل) الزاجرة لأصل طرح الفكرة المكررة بلا خجل، إذ يقدم لنا رد يعقوب – عليه السلام – عليهم ملامح الإخوة وإثبات المراوغة والاجتراء الأحمق ,واصطناع التعلات كما في السابق؛ فقد منع منهم الكيل ويطالبون بإرسال أخيهم الصغير، فجاء الاستفهام في

(١) فتح المجيد، ص ٤١٥.

(٢) تفسير ابن سعدي، ص ٢٧٦.

صورة رد حاسم، يقدم الأب في صورة الحكيم الفطن والخبير بتلونات الأبناء الضالين فيما ذهبوا إليه، وقد عصف الشيطان بأهوائهم، فهي شخصية وجدت لتربي في الناس معاني الصبر والتروي وتسير بالنبي الناشىء إلى ما اقتضته حكمة الله رغم أهوال الحرمان ومرارتها .

ذلك أن دلالة الاستفهام هي الإنكار والنفي؛ أي ما آمنكم عليه، ولهذا جاز أن يأتي بعدها (إلا) قصدًا للإيجاب؛ أي إشراك المخاطب في الأمر، بمعنى أنه يريد الجواب منهم؛ لأنهم قد ذكروا من قبل هذا الكلام مع يوسف، حين ضمنوا له حفظه، ثم أعادوا هاهنا اللفظ عينه " فهل يكون هنا أماني إلا ما كان هناك؛ يعني: لما لم يحصل الأمان هناك فكذلك لا يحصل هنا [(١)].

وإيصال الدلالة الأساسية للسياق من خلال هذا النوع من الاستفهام (المشرب بالنفي) يكون أكثر عمقًا في إيصال الفكرة إلى المتلقي، وأشد تأثيرا في نفسه، فهذا النوع من الاستفهام " يتطلب جوابا يحتاج إلى التفكير ... ولما كان المسؤول يجيب بعد تفكير ورويّة عن هذه الأسئلة بالنفي، كان في توجيه السؤال إليه حملاً له على الإقرار بهذا النفي، هو أفضل من النفي ابتداء [(٢)] .

وعليه؛ فالاستفهام في هذا الخطاب يأتي بدلالات متداخلة لا يمكن قصرها على معنى بلاغي واحد، إذ ثمة ظلال إيحائية تكشف عن نفسية يعقوب – عليه السلام – الحزينة، فهو ليس تساؤلاً عن معرفة وقوع النسبة أو عدم وقوعها، بل يحمل الخطاب قدرا من الاستغراب والاستنكار والنفي والتعجب من فكرة معاودة طلب

---

(١) انظر: روح المعاني: ١٢٠/٧، ضبطه وصححه: علي عبدالباري عطية، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، شرح الكافية للرضي: ٢٣٦/١، ط: الأولى، المحقق: حسن ابن محمد بن إبراهيم الحفظي – يحي بشير مصطفى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٧هـ ١٩٦٦م، معاني النحو: فاضل صالح السامرائي: ٦١٦/4، وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد، بيت الحكمة ١٩٨٦م، تفسير الرازي: 1 /173 .

(٢) من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ص163، ط: مكتبة نهضة مصر، ط: الأولى ١٩٥٠م.

الائتمان مرة ثانية، كما نجد قدرا من الزجر والتوبيخ للمتلقي؛ إذ كيف يطلب المتلقي مزيدًا من الفرص، وأثر ألمه ما زال باديًا على يعقوب – عليه السلام –، يقول السامرائي: " إن النفي بـــ (هل) ليس نفيا محضًا؛ بل هو استفهام أشرب معنى النفي، فقد يكون مع النفي تعجب أو استنكار أو غير ذلك من المعاني [١] .

ومع هذا بدت الفرصة سانحة لإعطائهم الفرصة ثانية حين استخدم النظم القرآني الجملة الاسمية المؤكدة بوصفها بديلاً أسلوبيًا مشبعًا بالدلالات للركن الثاني من الخطاب الاستفهامي { فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } [يوسف: ٦٤]، من حيث إن الجملة الاسمية أثبت في المعنى من الجملة الفعلية[٢] والمعنى: أني لا أثق فيكم ولا بحفظكم، وإنما أفوض أمري لله [٣].

على أن التقريرية الظاهرة في قوله تعالى: { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ } [العنكبوت: ٦٧] لا تدخل معنا في هذا الباب، بحسبان الاستفهام متوجه إلى فعل الرؤية المنفية، لا إلى فعل الأمن، على حين أن الاستفهام في آيات الوعيد السالفة كان موجها لفعل الأمن الموجب، ومعه انتفى حصوله كما هو ظاهر .

وإذا كان طلب الأمن تصورا، وطلب تحققه واقعا، أو حمل المخاطب على الإقرار بمضمونه قد انتفى عن طريق الاستفهام – كما مر – فيلحق به كذلك انتفاء (إرادة الأمن) بجامع الطلب في كل، وبخاصة اذا كان السياق يقضي بإنكاره؛ بسبب وجود تضاد بين المقدمة والنتيجة، كما في قوله تعالى مخاطبا أهل

---

(١) معاني النحو: ٦١٦/٤ .

(٢) البنى والدلالات في لغة القصص القرآني، دراسة فنية، عماد يحيى، ص169، دار دجله، الأردن، ط: الأولى ٢٠٠٩م، معاني الأبنية العربية: فاضل السامرائي، ص ١٥، ط: دار عمار للنشر، عمان، ط: الأولى ٢٠٠٥م.

(٣) روح المعاني: ١٢/٧، ضبطه وصححه: علي عبدالباري عطية، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، فتح البيان في مقاصد القرآن: ٣٦٥/٦.

الإيمان في شأن طائفة من المنافقين: { سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا } [النساء: ٩١].

إن هؤلاء المنافقين – وهم غطفان وبنو أسد ممن كانوا حول المدينة قبل أن يخلص إسلامهم، وبنو عبد الدار من أهل مكة، كانوا يأتون المدينة فيظهرون الإسلام ويرجعون إلى مكة فيعبدون الأصنام[١] إن هؤلاء المنافقين – كما هو ديدنهم في كل زمان ومكان – قد رغبوا في اللعب على المتناقضات لتحقيق مصلحة خاصة .

إن إنكار الأمان على هؤلاء مفهوم من طلبهم إياه من مصدرين متناقضين ومحاولتهم الجمع بين متنافرين في الهدف والغاية، وهما أهل الاسلام وأهل الكفر، فهم " يريدون بذلك الأمن في الفريقين " [٢] فضلا عن إن ما تقتضيه فكرة طلب الأمان وتحققه من سكون وطمأنينة نفسية لا تستقيم وطبيعة هؤلاء المنافقين القلقة المضطربة المترددة المتذبذبة، وهو ما بينته الآية الكريمة { كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا } فهم دائمو الارتداد والنكوص والخلف للوعد والسقوط في نفس الهوة العميقة من الاضطراب، كما ظهرت جلياً حالة التربص والمناوشة المستمرة من هؤلاء بالفريق المؤمن بالقول والفعل، ومحاولات إلحاق الأذى بهم، مما يتعارض مع فكرة الرغبة الصادقة في تحقيق الأمن لهم او لغيرهم؛ فـ " السين " في " ستجدون " ليست للاستقبال: إنما هي دالة على استمرارهم على ذلك الفعل في الزمن المستقبل [٣].

---

(١) التحرير والتنوير: ١٥٦/٥.

(٢) تفسير البغوي: ٢/ ٢٦٢.

(٣) تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى: ٣٢٠/٣، ت: عبد الرزاق المهدي، ط: دار احياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

فهم طائفة منافقة شريرة، ليست مرتبطة بميثاق ولا متصلة بقوم لهم ميثاق. فالإسلام إزاءها إذن طليق. يأخذها بما أخذ به غيرها من المنافقين [١] ومن ثم كان التوجيه الرباني الحاسم: { فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ .. } .

وعليه؛ يمكن الجزم بأن إرادة الأمن – وفق المعطى السابق – لا تكفي لتحققه؛ بل تتعارض مع وجوده أصلاً، وهنا تتجلى قيمة الحضور والغياب للفظ ومضمونه، أو ما يمكن أن نسميه المفارقة بين حضور دالة الأمن، متلبسة بالإرادة من جهة وغياب مضمونها، مرتهناً بالصنيع المخالف لهذه الإرادة من جهة أخرى، وبخاصة أن ظاهر اللفظ قد أكد نفيها دون وجود أداة نفي ظاهرة، كما نلاحظ التحميل اللفظي لدوال الأمان لمراد هؤلاء عن طريق العطف (يأمنوكم ويأمنوا ..) وما فيه من افتعال واضح عند هؤلاء القوم في طلب المعنى؛ يقضي بنفيه وإنكاره عليهم ومنهم، والله أعلم .

(١) في ظلال القرآن للأستاذ/ سيد قطب: ٧٣٥/٢، ط: دار الشروق ٢٠٠٣م .

ثامنا: دالة الأمن بين وحدة السياق وتعدد الموقف:

ويمكننا في هذا الصدد أن نتوقف أمام نموذج من النظم الكريم ظهر فيه التباين التعبيري في السياق الواحد مع اختلاف الموقف؛ مما استدعى معه المخالفة في طرق إثبات صفة الأمن ومنحها منه – ﷻ –، أمرا بها أو نهيا عن مضادها، وذلك مراعاة للحالة النفسية بحسب ما يريد أن يفصله القرآن الكريم، أو يلقي الضوء عليه في هذا الشأن.

إن النموذج الذي استحضرناه هو خطاب الله – ﷻ – لموسى – عليه السلام – ليلة الطور، وهو موقف القرب منه – سبحانه – والتخصيص بالتكليم والاصطفاء بالرسالة والكرامة، حيث صدر الأمر الإلهي لموسى – عليه السلام – بإلقاء العصا التي تحولت إلى حية، وقد تصورت بتلك الصورة الهائلة، وهي تهتز كأنها جان، فكان فراره منها جريا منه على ما جبل الله طبيعة الإنسان عليه، إذا فاجأه من المخاطر ما لا سبيل له إلى دفعه عن نفسه إلا الفرار، ثم جاء نداء التطمين من الله تعالى لموسى – عليه السلام – مُصدّرا بالنهي المطلق عن الخوف من أي شيء يسوء، مرة بقوله في سورة القصص: { وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ } [القصص: ٣١] وأخرى في سورة النمل بقوله: { لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ } [النمل: ١٠].

فيتحصل المعنى: لا تخف من شيء إنك مرسل والمرسلون – وهم لدي في مقام القرب – في مقام الأمن ولا خوف مع الأمن.

ولعل السر في تنويع الخطاب وتعليل النهي في الآيتين نابع من اختلاف الأجواء المحيطة بكل، ففي سورة القصص قال:"

{ إِنَّكَ مِنَ الأمنينَ } لأن الخائف يحتاج إلى تأمين، أمّنه لأنه يحتاج إلى تأمين.

مع أن الخوف حاضر في سورة النمل كذلك، والفرق أن شيوعه في النمل ليس كشيوعه في القصص، في النمل لم يذكر الخوف إلا هاهنا، بينما في القصص الخوف من أولها لآخرها؛ عندما هرب وخرج خائفاً يترقب، لا تخف نجوت من القوم الظالمين، فالسمة العامة الخوف، حتى في التبليغ كان هناك خوف: { قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ } [القصص: ٣٣، ٣٤].

بينما في سورة النمل لم يقل هذا . ولأن المقام مقام تكريم وتشريف (إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (١٠)

بمعنى الإلماح إلى أن موسى – عليه السلام – منهم، وأنه مرسل، وهذا تكريم وتشريف، ثم لاحظ كيف قال (لدي) ليشعر بالقرب والحضور زيادة في هذا التكريم، ثم انظر من ناحية أخرى كيف أنه لما قال في سورة النمل: " لَدَيّ " المفيدة للقرب ناداه بما يفيد القرب فقال: " يا موسى " ولم يقل: " أنْ يا موسى " كما قال في القصص، ففصل بين المنادي والمنادَى بما يفيد البعد. وأمره أيضا بما يفيد القرب بلا فاصل بينهما فقال: " وألق عَصاكَ " ولم يقل: " وأنْ ألق عَصاكَ " للدلالة على قرب المأمور منه. فناداه من قرب وأمرَه من قرب، وذلك لأنه كان منه قريبا، فانظر علو هذا التعبير ورفعته.

تاسعا: ثنائية (الأمن / الخوف) وأثرها في المعنى:

إن القيمة الفنية للتقابل تكمن فيما يحدثه التضاد من أثر متميز في الدلالة على " صور ذهنية ونفسية متعاكسة يوازن فيما بينها عقل القارئ ووجدانه، فيتبين ما حسن منها ويفصله عن ضده " (١) فالمقابلة اللفظية في القرآن الكريم استخدمت استخداماً نفسياً في مجالات شتى في الترغيب والترهيب، ومنها الأمن والخوف وكلها انعكاسات معان تتمحور في محوري القرآن الكريم الأساسيين: الإيمان والكفر(٢) .

ومن صورها في القرآن الكريم:

قوله تعالى: { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ } [قريش: ٣ - ٤].

يمتن الله تعالى على قريش بنعمة الأمن، ولولا عظم هذه النعمة لما أوردها الله – تعالى – في معرض الامتنان، كما أشارت الآيات الكريمة إلى أنه لا يمكن تحقيق العبادة على وجهها الأكمل إلا بالأمن والاستقرار .

والسورة الكريمة حديث إلهي عن نعم الله الجليلة على أهل مكة، حيث كان لهم رحلتان: شتاء إلى اليمن، وصيفاً إلى الشام، من أجل التجارة وكسب الرزق، وقد أكرم الله – تعالى – قريشاً بنعمتين عظيمتين: نعمة الأمن والاستقرار، ونعمة الغنى واليسار، ولذلك جاء الأمر الرباني بإخلاص العبادة في قوله: { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ } (٣) .

---

(١) البلاغة والتطبيق: الدكتور/ أحمد مطلوب، والدكتور/ كامل حسن البصير، ص ٤٤٣، ط: منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ط: الأولى ١٩٨٢م .

(٢) ينظر: البلاغة العربية تأصيل وتجديد: مصطفى الصاوي الجويني، ص ٦٩، منشأة المعارف، الإسكندرية 1985م .

(٣) ينظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم: محمد متولي شعراوي: ٩٦/1، بيروت 1981م.

ثم يأتي تعظيم الخالق – ﷻ – مشارا إليه بالاسم الموصول (الذي)[١] فيتسق مع التقابل الإبدالي التحولي في قوله تعالى: { أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ } ولقد كان لحرف الجر أكبر الأثر في ذلك الإبدال[٢] الذي اتخذ صورة التقابل اللفظي الحقيقي، فالتحويل من اللفظ إلى ضده، من الجوع إلى الإطعام، ومن الخوف إلى الأمن، وهو تحول من الحالة السيئة التي يعكسها الطرف الثاني لكل من المتقابلين إلى الحالة الحسنة التي يمثلها الطرف الأول لكل منهما. يؤيد ذلك ما جاء في تفسير الآية، ذلك أن حالة بلادهم تقتضي أن يكون أهلها في جوع، فإطعامهم بدل من الجوع تحقق برحلتي التجارة إلى اليمن وإلى الشام، وأن حالتهم في قلة العدد وكونهم أهل حضر وليسوا أهل بأس ولا فروسية ولا شكة سلاح تقتضي أن يكونوا معرضين إلى غارات القبائل؛ فجعل الله لهم الأمن في الحرم عوضا عن الخوف الذي تقتضيه قلتهم [٣] .

وتجدر الإشارة إلى أن التنكير في الضدين (جوع، خوف) جاء لأجل إبراز شدتهما وصعوبتهما، فالجوع شديد، والخوف عظيم، ولقد حسن التقابل القرآني لأنه جاء موظفاً لبيان نعم الله سبحانه على عباده.

وقد تأخذ هذه الثنائية شكل التبديل الظاهر نصاً، مرهونا باستحقاقات معينة، فيترتب عليها زوال أحد طرفي الثنائية وبقاء الآخر؛ اتساقا مع معنى أن الأمن والخوف ضدان، إذا حدث تبديل ووُجد أحدهما ارتفع الآخر بالضرورة كما في قوله: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ

(١) ينظر: معاني النحو: د/ فاضل السامرائي: ١٢٨/١، بغداد، د ت.
(٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي، ص ٣١٦، تحقيق: الدكتور/ فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، حلب 1973م.
(٣) التحرير والتنوير: ٥٥/٣٠.

خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [النور: ٥٥].

ففي هذه الآية تصريح واضح وبيان جلي، بتبديل الأمن بعد الخوف، وزوال أسبابه ومسبباته، ليكون المؤمنون في أمن؛ كي يقوموا بمهام الاستخلاف في الأرض من عمارة، ونشر دين الله، وبث الخير والسعادة، فيبدلهم الله بعد هذا الخوف أَمْناً، فإذا ما حدث ذلك؛ فعليهم أنْ يحافظوا على الخلافة هذه، وأنْ يقوموا بحقها { يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذلك فأولئك هُمُ الفاسقون .. }.

بمعنى: وليغيرن حالهم عما هي عليه من الخوف إلى الأمن(١) والمعنى: أنه سبحانه يجعل لهم مكان ما كانوا فيه من الخوف من الأعداء أمناً، ويُذهب عنهم أسباب الخوف الذي كانوا فيه بحيث لا يخافون إلا الله ولا يرجون غيره (٢)، كما ورد في حديث أبي العالية حتى إن الأمر قد بلغ بالمهاجرين والأنصار أنهم لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلا بالسلاح مخافةَ إنْ ينقضَّ عليهم أعداؤهم، حتى ذهب أحدهم إلى رسول الله – ﷺ – يقول: يا رسول الله، أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح ؟ فقال: – ﷺ –: لا تلبثون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس عليه حديدة (٣).

وإنما قال: { وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا } ولم يقل: وليؤمننهم، كما قال في سابقَيْه(٤) لأنهم ما كانوا يطمحون يومئذٍ إلا إلى الأمن، فكانوا في حالة هي ضد الأمن، ولو أعطوا الأمن دون أن يكونوا في حالة خوف لكان الأمن منة واحدة .

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠٨/١٩.
(٢) فتح القدير: ٧٠/٤.
(٣) أورده القرطبي في تفسيره: ٢٧٥/١٢.
(٤) المقصود قوله تعالى: { أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ } [قريش: ٤].

وهو ما يفهم من إضافة الخوف إلى ضميرهم؛ للإشارة إلى أنه خوف معروف مقرر، كما أن تنكير (أمناً) للتعظيم، بقرينة كونه مبدّلاً من بعد خوفهم المعروف بالشدة. والمقصود: الأمن من أعدائهم المشركين والمنافقين .

وفيه بشارة بأن الله مزيل الشرك والنفاق من الأمة، أي: وليجعلنهم بعد الخوف من الكفار في حالة أمن وسلام، وقد أنجز اللّه وعده لهم بما ذكر، فكان رسول اللّه – ﷺ – وأصحابه في مكة عشر سنين خائفين، ثم هاجروا إلى المدينة، وبقوا مستنفرين في السلاح صباح مساء، حتى أنجز اللّه وعده، فغلّبهم على العرب كلهم، وفتح لهم بلاد الشرق والغرب. وفيه دليل على صحة النبوة بالإخبار عن الغيب على ما هو به، وعلى صحة خلافة الراشدين، كما ذكر النحاس؛ لأن الله – ﷻ – أنجز ذلك الوعد(١).

ونقل القرطبي عن ابن العربي قوله: هذا وعد عام في النبوة والخلافة وإقامة الدعوة وعموم الشريعة، فنفذ الوعد في كل أحد بقدره على حاله؛ وحقيقة الحال أنهم (أي المسلمين) كانوا مقهورين فصاروا قاهرين، وكانوا مطلوبين فأضحوا طالبين؛ فهذا نهاية الأمن والعز(٢).

(١) تفسير القرطبي: ١٢/٢٧٥ .
(٢) السابق: ١٢/٢٧٧ .

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله – ﷺ –. **وبعد**؛؛؛

فهذا ما وفقني الله تعالى إليه في هذا البحث، تناولت فيه جانبا من جوانب التعبير القرآني الأدبية عن معنى من المعاني المهمة وهو معنى (الأمن) في محاولة للوصول إلى الخصائص الجمالية المتفردة التي حظي بها هذا التعبير، والتكامل التعبيري المعجز في شواهد الدوال التي خضعت للدراسة، ومن النتائج التي توصل إليها البحث ما يلي:

- ترتد كلمة الأمن وما يشتق منها في القرآن الكريم في أصلها إلى ثلاثة معان أصلية وهي (الأمانة، ضد الخوف، المكان الآمن) كما تتشعب توجيهات هذه الأصول وإشراقاتها الفرعية حسب ما يقتضيه كل سياق وكل مناسبة، ولكنها لا تخرج في مجملها عن معانى: السلامة والاطمئنان النفسي، وانتفاء الخوف على حياة الإنسان – دنيويا وأخرويا –، أو على ما تقوم به حياته من مصالح وأهداف وأسباب ووسائل .

- جاء النظم الكريم لدالة الأمن – تقديما وتأخيرا – غاية في التناسق مع ما يلائمها من مفردات وفي غاية التآخي مع يجاورها من ألفاظ، محددا للأوقات والغايات، محققاً الغرض الذي يهدف إليه سياق النص القرآني الكريم من إيقاع الوصف بالأمن أو نفيه كذلك .

- لم ترد دالة الأمن في القران الكريم على صيغة الأمر الظاهرة؛ وتأسيسا على ذلك استخدم النظم الكريم ما يفي بطلب تحقق الأمن عن طريق تصدير الحالة في شكلها الخبري التقريري على معنى الجعل التكويني أو التشريعي الوارد في قوله: { وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا }.

- إن إيقاع الوصف بالأمن في القرآن الكريم جاء جزئيا مقيدا في بعض الآيات الكريمة، وكليا مطلقا في بعضها الآخر، اقترانا سياقيا بحالة الوصف والموصوف، وبحالة الفعل، والزمن كذلك .

- جاء اطلاق الأمن وصفاً شاملاً وحالةً مستقرةً على سبيل التخصيص على موصوف مخصوص في حالة واحدة في القران الكريم، كما في سياق المحاجة بين أهل التوحيد و أهل الشرك في حوارية سيدنا إبراهيم – عليه السلام – وقومه في شأن إفراده – سبحانه – بالعبادة أو إشراك غيره معه – والعياذ بالله – وشعور الأمن والخوف المترتب علي كل .

- قدّم القران الكريم في حديثه عن معنى الأمن مجموعة من الصفات المتتابعة والدفقات المعنوية والشعورية المتلاحقة المتكاملة، وحشد أكبر عدد من الدلالات المقترنة والمصاحبات اللغوية للصفة تأكيدا لها وإقرار لثبوت ضدها في حالة نفيها .

- بحسبان الأمن شعورا طارئا يتبدل معه الحكم التكليفي حضورا وغيابا استخدم النظم الكريم أدوات تعبيرية مناسبة للمقام الذي يرد فيه حسب فرصة الوقوع له وانتفاءها، وبخاصة أدوات الشرط المناسبة لكل سياق، مع الوضع في الحسبان كذلك مراعاة الحالات المصاحبة للشرط من الناحية الزمنية وامتداداتها والحالة النفسية وتبعاتها، حيث جاء نسق الشرط موجزا في بعض الأحيان ومطنبا في أحيان أخرى .

- إن المتتبع لآيات القرآن الكريم التي وردت فيها دوال الأمن، على طريقة الاستفهام – مهما كانت صيغه – يلاحظ أن هذا الاستفهام لا يحتمل معنى التقرير أبدا، وكأن ثمة ارتباطا قويا بين غياب دوال الأمن مع صيغ الأمر الظاهرة، وبين غياب التقرير، كمعنى من معاني الاستفهام لذات الدوال، ولذا

جاء الاستفهام فيها على معاني الانكار والتعجب والتقريع وخلافه، وذلك للارتباط الصريح بين صنيع من توجه إليهم الاستفهام بالأمن هؤلاء، ومآلهم المحتوم .

- استجابة لضرورة المخالفة في طرق إثبات صفة الأمن ومنحها منه – ﷻ – أمرا بها أو نهيا عن مضادها؛ ظهر التباين التعبيري عن معنى الأمن في السياق الواحد مع اختلاف الموقف؛ ولعل السر في تنويع الخطاب إنما جاء تبعا لاختلاف الأجواء المحيطة بكل موقف .

- في الحديث عن ثنائية الأمن والخوف استخدم النظم الكريم المقابلة اللفظية استخداماً نفسياً في مجالي الترغيب والترهيب، تأكيدا على التحول الشعوري والمعنوي بين طرفي هذه الثنائية أو زوال أحد طرفيها وبقاء الآخر؛ اتساقا مع فكرة أن الأمن والخوف ضدان، إذا حدث تبديل ووُجد أحدهما ارتفع الآخر بالضرورة .

مصادر ومراجع

١. أثر تعليم القرآن الكريم في حفظ الأمن: د/ عبدالقادر ياسين الخطيب، جامعة الأمير سلطان – قسم العلوم العامة – العام الدراسي ١٤٢٦/١٤٢٧هـ.
٢. أحكام القران للجصاص، حمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٠٥هـ.
٣. أدب الدنيا والدين: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط: الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٤. الإسلام والأمن الاجتماعي: د/ محمد عمارة، دار الشروق ٢٠٠٧م.
٥. الإسلام والأمن الاجتماعي: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط: الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٦. أضواء البيان في ايضاح القران بالقران: محمد المختار الشنقيطي، الناشر: مجمع الفقه الإسلامي بجدة ١٣٩٣هـ .
٧. أفياء الوحي، د/ عبدالله بلقاسم البكري، مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤٣٧هـ.
٨. الأمثال القرآنية عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط: دار القلم دمشق، ط: الثانية ١٤١٢هـ.
٩. الأمن الاجتماعي ضبط المصطلح وتأصيله الشرعي: د/ عماد "محمد رضا" علي التميمي و د/ إيمان "محمد رضا" علي التميمي، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الذي تقيمه كلية الشريعة في جامعة آل البيت بعنوان الأمن الاجتماعي في التصور الإسلامي ٢٠١٢م.
١٠. أمن المجتمع المسلم كما يصوره القرآن، مقال للأستاذ/ محمد بدوي، مقال منشور على موقع الألوكة بتاريخ: ٢٠٠٩/٢/٢٥م – ١٤٣٠/١/٢٨هـ .

١١.الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام: الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر وزارة الأوقاف السعودية ١٤٣٢هـ .
١٢.أنواع المورفيم في العربية: د/ محمد عبدالوهاب شحاته، مجلة علوم اللغة مج ١ ع ٢، ١٩٩٨م. دار غريب القاهرة.
١٣.أنيس الفقهاء: القونوي، قاسم بن عبد الله بن أمير علي (ت ٩٧٨هـ)، تحقيق: د/ أحمد عبد الرزاق الكبيسي، دار الوفاء، جدة، ط: الأولى ١٤٠٦هـ.
١٤.البحر المحيط: الغرناطي
١٥.البلاغة العربية تأصيل وتجديد: مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف، الإسكندرية 1985م .
١٦.البلاغة والتطبيق: الدكتور/ أحمد مطلوب، والدكتور/ كامل حسن البصير، ط: منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ط: الأولى ١٩٨٢م .
١٧.البنى والدلالات في لغة القصص القرآني، دراسة فنية، عماد يحيى، دار دجله، الأردن، ط: الأولى ٢٠٠٩م.
١٨.التحرير والتنوير، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤هـ .
١٩.التحرير والتنوير، ط: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس ١٩٩٧م .
٢٠.التربية الأمنية في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية): د/عبد السلام حمدان اللوح، د/ محمود هاشم عنبر، نشر في مجلة الجامعة الاسلامية (سلسلة الدراسات الاسلامية) مج ١٤ العدد ١ يناير ٢٠٠٦م .
٢١.التَّعاريف: المِناوي، محمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: د/ محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط: الأولى ١٤١٠هـ.
٢٢.التعريفات: الجرجاني الشريف علي بن محمد (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٢٣.تفسير ابن سعدي

٢٤.تفسير ابن كثير، ت: سامي محمد السلامة، دار طيبة ٢٠٠٢م .
٢٥.تفسير ابن كثير، دار المعرفة – بيروت ١٩٨٣م .
٢٦.تفسير ابن كثير، قدم له الدكتور/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي – أستاذ التفسير بالمعهد العالي للدراسات الاسلامية، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ١٤١٢هـ .
٢٧.تفسير أبي السعود
٢٨.تفسير الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ، وط: دار احياء التراث العربي.
٢٩.تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى، ت: عبد الرزاق المهدي، ط: دار احياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٣٠.تفسير البغوي، بتحقيق: محمد عبد الله العمر وآخرون، دار طيبة 1409هـ ١٩٨٩م .
٣١.تفسير البغوي، بتحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، ط: دار طيبة، ط: الرابعة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٣٢.تفسير الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م .
٣٣.تفسير الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ٢٠٠٠م .
٣٤.تفسير الطبري، ت: محمود محمد شاكر، دار المعارف، سلسلة تراث الاسلام ١٦.
٣٥.تفسير القرطبي، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
٣٦.تفسير القرطبي، ت: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م .
٣٧.التفسير الكبير للرازي

٣٨. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط: الثانية ١٤١٨هـ .
٣٩. تفسير فتح القدير للشوكاني، مراجعة: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٤م.
٤٠. جماليات المثل دراسة أسلوبية: عيسات قدور سعد، رسالة ماجستير جامعة وهران – الجزائر ٢٠١٥م.
٤١. الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: الدكتور/ فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، حلب 1973م.
٤٢. ديوان البحتري، بتحقيق: حسن كامل الصيرفى، دار المعارف، مصر، ط: الثانية ١٩٧١م.
٤٣. ديوان الشريف الرضى، شرح د/ يوسف فرحات، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
٤٤. روح المعاني، ضبطه وصححه: علي عبدالباري عطية، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى.
٤٥. زاد المسير ابن الجوزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.
٤٦. زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثالث ١٩٨٢م.
٤٧. سر الإعجاز في تنوع الصيغ الصرفية المشتقة من أصل لغوي واحد في القران، عودة منيع القيسي، دار البشير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى ١٩٩٦م .
٤٨. السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير لعبد الرحمن المطيري، منشورات جامعة أم القرى ٢٠٠٨م .

٤٩.شرح الكافية للرضي، ط: الأولى، المحقق: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي – يحي بشير مصطفى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٧هـ ١٩٦٦م.
٥٠.صحيح البخاري، ط: دار ابن كثير ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
٥١.صحيح مسلم بشرح النوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية ١٣٩٢هـ .
٥٢.فتح البيان في مقاصد القرآن: صديق حسن خان القنوجي، ت: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .
٥٣.فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبي زكريا الأنصاري، تحقيق: محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٥٤.فتح القدير للشوكاني، ط: دار المعرفة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٤م.
٥٥.فتح المجيد
٥٦.في ظلال القرآن للأستاذ/ سيد قطب، ط: دار الشروق ٢٠٠٣م .
٥٧.القاموس المحيط: الفيروز أبادي، ت: محمد نعيم العرقسوس: الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثامنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .
٥٨.القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل: نور الدين الخادمي، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ٢١، العدد ٤٢.
٥٩.كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .
٦٠.الكشاف للزمخشري، مكتبة العبيكان، ط: الأولى ١٩٩٨م.
٦١.لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت ١٩٩٦م.

٦٢.مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ط: جديدة.
٦٣.معاني الأبنية العربية: فاضل السامرائي، ط: دار عمار للنشر، عمان، ط: الأولى ٢٠٠٥م.
٦٤.معاني النحو: د/ فاضل السامرائي، بغداد، د ت.
٦٥.معاني النحو: فاضل صالح السامرائي، وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد، بيت الحكمة ١٩٨٦م.
٦٦.مفاتح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ٢٠٠٠م .
٦٧.مفردات الفاظ القران الكريم: الراغب الاصفهاني، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم – الدار الشامية، ط: الرابعة ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م .
٦٨.مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الراغب الاصفهاني، ت: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي ١٩٧٢م .
٦٩.المفردات في غريب القران لأبي القاسم الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد السيد كيلاني. دار المعرفة – بيروت، (د.ت).
٧٠.مفهوم الأمن في القرآن الكريم: أ.د/ الشاهد البوشيخي، مجلة حراء، العدد: ١٣ (أكتوبر – ديسمبر) ٢٠٠٨م .
٧١.مقاييس اللغة، ت: عبدالسلام هارون، دار الفكر، دمشق ١٩٧٩م .
٧٢.مقومات الأمن في القرآن الكريم: إبراهيم الهويمل، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ١٥، العدد ٢٩.
٧٣.من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ط: مكتبة نهضة مصر، ط: الأولى ١٩٥٠م.
٧٤.المنتخب في تفسير القرآن الكريم: محمد متولي شعراوي، بيروت 1981م.
٧٥.نظرات في كتاب الله: هِشام عبد الرَّزاق الحمص، دار الكلم الطيب، دمشق، ط: الخامسة ٢٠٠٣هـ.

٧٦.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، ت: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م.
٧٧.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط: دار الكتاب الاسلامي.

تم بحمد الله

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	رقم الصفحة
١	ملخص	٢٦٣٣
٢	Abstract	٢٦٣٤
٣	المقدمة	٢٦٣٥
٤	التمهيد :	٢٦٣٧
٥	أولا : الحديث عن مفهوم الأمن لغة واصطلاحا .	٢٦٣٧
٦	ثانيا : مصطلح الأمن ومشتقاته في السياق القرآني .	٢٦٤١
٧	المبحث الاول : الأمن في القرآن الكريم : إطلاقات ومعاني .	٢٦٤٢
٨	المبحث الثاني : جماليات التعبير في حديث القرآن عن الأمن والأمان .	٢٦٥٢
٩	الخاتمة	٢٦٩٥
١٠	المصادر والمراجع	٢٦٩٨
١١	فهرس الموضوعات	٢٧٠٥

تم بحمد الله